مجلة شهرية

Issue No: 120 عدد:

August 2017 شهر آب

نـــــور المســـيح

يسوع المسيح الغـالب

ΦΩΣ ΧΡΙΣΤΟΥ

جمعية نور المسيح، رقم ٥٨٠٣٢٧٩١٤ ، ص.ب. ٦١٩ قانا الجليل ١٦٩٣٠

Nour Almasih / Light of Christ, Registered Society No. 580327914 - P.O.Box 619 , Cana of Galilee 16930, website:www.lightchrist.org

التجلّي الإلهي

تجليت أيها المسيح الإله على الجبل
فاظهرت مجدك لتلاميذك حسبما استطاعوا
فاشرق لنا أيضًا نحن الخطأة بنور الأزلي
بشفاعات والدة الإله يا مانح النور المجد لك

رقاد والدة الإله وانتقالها الى السماء

الصلاة تقتضي الإيمان

الراهب
موسى الأثوسي

محتويات العدد

الغنى والفقر	2
كلمة غبطة البطريك ك.ك. ثيوفيلوس الثالث	3
مختارات من تعاليم القديس أنطونيوس الكبير	4
المسيح في العهد القديم	6
النسك في الحياة الرهبانية	8
الاستشهاد والحب الإلهي	9
ثاوفيلس.	11
البذار الذي وقع على الطريق	12
الاعتراف والكفارات	14
ذكر الله من خلال صلاة يسوع	15
من أقوال وسِيَر الآباء القديسين	16
دستور الإيمان للقديس نكتاريوس	17
الأرثوذكسية عند الأب يوحنا رومانيدس	19
جزنا بالنار والماء	20
العهد القديم ١٠٣	21
كُتِبَ على أحد الـ ..	21
القديس نكتاريوس	22
الأرثوذكسية قانون إيمان	23
العظات الثماني عشرة	24

الصلاة تستلزم مسبقًا الإيمان. الناس الذين لا يصلّون هم بلا معونة، مترددون، عميان ووحيدون. إنّهم مربوطون بالأرض لا يعلمون كيف يطيرون عاليًا، ولا كيف يحترقون لامعين في السماء، ولا كيف يتمتّعون بالسند السماوي الضروري. إنهم يحاولون أن يجمعوا كنوزًا على الأرض. إنهم يطلبون اللذة بشكل دائم، لكي تجلب لهم الفرح، بالرغم من أنها بالحقيقة لا تجلب إلّا المزيد من الألم. إنه لحزن وباعث للأسى أن يُطلب الفرح في الوحل.

يبدأ الصعود نحو السماء بندامة، بالتوبة الحقيقية، بتأنيب الضمير. حري التذكّر أننا لم نُخلَق للعودة إلى التراب. حياة الأهواء لا تجلب بالحقيقة الفرح والاكتفاء. الارتباط الشديد بأشياء هذا العالم هو خطأ فادح وتَظْهَرُ كلفته بالنتائج المريرة. ليس من غير المجدي التقدم لتجاوز المرئي. بمقدور كل واحد أن يقوم بهذا. كل ما يحتاجه هو أن يريد ذلك، أي أن يمتلك رغبة حقيقية. في البداية نكون مترددين، خجولين، خائفين ولا نرغب بالمخاطرة بالكثير. قد نجد الأمر غير قابل للهضم، غريبًا غير طبيعي، مستحيلًا وفي كل الأحوال ليس لنا. نظن أننا نمارس لعبة مهينة آثمة وأننا خطأة جدًا وما شابه. لكن الصلاة ليست للقديسين فقط.

إذا صليّتَ باتضاع واحتشام يصير قلبك أكثر حلاوة، مستنيرًا، معزّزًا وهادئًا. يحس القلب بقيمة المجهود للصلاة. إنه يشعر بالغبطة والجذل والأمان والتحصين والراحة. يدرك أن الصلاة حاجة عظيمة للنفس، حركة طبيعية، ووظيفة إلهية. تصير الصلاة عملًا صالحًا بدلًا من عادة شكلية، بهجة يومية ونعمة، تمامًا كما يحتاج الجسد غذاءه اليومي لكي يصون ذاته، كذلك تطلب النفس الخالدة.

من غير الممكن أن نحب الله دون أن نرتبط به ونكلّمه ونصلي إليه. علينا دائمًا أن نفكّر به ونستدعيه. تذكُّر الله هو صلاة بحد ذاته. أنت تتذكر المحبوب وتفرح. استدعاء الله هو مصدر فرح وسلام وبركة. من دون الصلاة، تكون النفس ملفوظة وضعيفة ومريضة. الصلاة تمنح الصحة الروحية والتوازن والتمييز والتنوير والبركة. الصلاة تسلّحنا ضد الخطيئة. الذين يصلّون يدخلون في حوار مع الله, ولا يشغلون ذواتهم في أمور تافهة. إنهم يتعلّمون الاتضاع والرزانة والبساطة والمحبة. إنهم أطفال الله المحبوبون. الصلاة نعمة عظيمة من الله لنا.

أصم: الأصم هو فاقد حاسة السمع. ويستخدم الكتاب المقدس كلمة «أصم» بمعناها الحرفي، كما يستخدمها مجازيًا للدلالة على عدم الاستعداد لسماع الرسالة الإلهية (مز ٥٧: ٤). وللدلالة على عدم القدرة على الفهم لنقص الروحانية (مز ٣٨: ١٣). وكانت كلمات الأنبياء من القوة بحيث تجعل الصم (مجازيًا) يسمعون (إش ٢٩: ١٨ ، ٤٣: ٨) وستنفتح آذان الصم وعيون العُمْيِ بمجيء المسيا (إش ٢٩: ١٨ ، ٣٥: ٥). وقد نهت الشريعة عن «شتم الأصم» (لا ١٩: ١٤) وقد شفى المسيح في أيام تجسده حالات الصمم (مرقس ٧: ٣٢-٣٧ ، ٩: ١٨-٢٦).

توزّعُ هذه المجلة مجانًا
جمعية نور المسيح
كفركنا - الشارع الرئيسي - ص . ب . ٦١٩
تلفاكس ٠٤-٦٥١٧٥٩١
لدعم نشاطات الجمعية تُقبل التبرعات مشكورة
في بنك العمال فرع الناصرة ، حساب رقم:
12-726-111122
e-mail: light_christ@yahoo.com
المحرّر المسؤول: هشام خشيبون - سكرتير جمعية نور المسيح

كلمة صاحب الغبطة بطريرك المدينة المقدّسة أورشليم

كيريوس كيريوس تيوفيلوس الثالث

بمناسبة تجلي ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح على جبل ثابور

«لقد تجلَّيت أيها المسيح الإله على الجبل، فعاين تلاميذك مجدك بحسب ما استطاعوا. حتى أنهم لما أبصروك مصلوبًا أدركوا أن موتك طوعيٌّ بآختيارك. وكرزوا للعالم بأنك أنت شعاع الآب حقًا.»(قنداق العيد). هذا ما يتفوه به مرنم الكنيسة .

أيّها الأخوة الأحباء،

أيّها الزّوار الأتقياء الحسنو العبادة،

هلمّوا يا جميع معاشر أهل العالم ومَن فوق العالم. انهضوا بنشاطٍ لتسبيح المسيح إلهنا الذي أهّلَنا أن نجتمع اليوم على جبل ثابور لكي بشكرٍ وآبتهالٍ نُعيِّد لتجلي ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح.

لقد أقامت كنيستنا الأرثوذكسية المقدسة تذكار تجلي مخلصنا يسوع المسيح الالهي الذي بحقٍ يدعو معاشر أهل العالم ومَن فوق العالم لتسبيح إلهنا ومخلصنا يسوع المسيح. وهذا بسبب سُمُوِّ وأهمية هذا العيد لطبيعة جنسنا البشري، وذلك لأن المسيح اليوم على جبل ثابور غيَّر طبيعة آدم التي كانت قد أظلمت فجعلها تتلألأ وأَلَّهَهَا.

إن المسيح بكلامٍ آخر قد ألَّه طبيعة البشر التي كانت مظلمة وفاسدة وذلك عبر قيامته الثلاثية الأيام من بين الأموات صائرًا سيدًا على الحياة والموت. وذلك لأنه عندما اتخذ طبيعة جنسنا البشري، أدخلها من خلال آلامه المُحْيِيَة الخلاصية وقيامته إلى مملكته الإلهية ومجده الذي لا يُسبر غوره.

ويوضح مرنم الكنيسة بأن تلاميذ المسيح قد صاروا مشاركين ومُعاينين لنور هذا المجد الإلهي، وذلك قبل آلامه بقليل إذ يقول: «حتى أنهم (أي التلاميذ) عندما يبصرونك مصلوبًا يدركون أن موتك طوعيٌّ باختيارك. ويكرزون للعالم بأنك أنت شعاع الآب حقًا». إنّ بهاء النور الذي لا يوصف الذي تلألأ على جبل ثابور ليس هو إلّا لاهوته الذي كشفهُ المسيح لملقّنِي أسرارهِ.

وبكلامٍ آخر إن المسيح قد أظهر لتلاميذه أنه ليس فقط إنسانٌ تامٌ، بل إلهٌ تامٌ مساوٍ للآب والروح القدس في الجوهر. لهذا فقد أظهر مجد ألوهيته لتلاميذه كما يشهد القديس لوقا الإنجيلي: «وَفِيمَا هُوَ (المسيح) يُصَلِّي صَارَتْ هَيْئَةُ وَجْهِهِ مُتَغَيِّرَةً، وَلِبَاسُهُ مُبْيَضًّا لاَمِعًا. وَأَمَّا بُطْرُسُ وَاللَّذَانِ مَعَهُ فَكَانُوا قَدْ تَثَقَّلُوا بِالنَّوْمِ. فَلَمَّا اسْتَيْقَظُوا رَأَوْا مَجْدَهُ». (لوقا ٩: ٢٩-٣٢)

وبحسب شهادة القديس متى الإنجيلي فإن المسيح: «تَغَيَّرَتْ هَيْئَتُهُ قُدَّامَهُمْ (أي أمام تلاميذه)، وَأَضَاءَ وَجْهُهُ كَالشَّمْسِ، وَصَارَتْ ثِيَابُهُ بَيْضَاءَ كَالنُّورِ». (متى ١٧: ٢).

إن هذا النور هو نور الآب الأزلي غير المخلوق والمسيح ابن الله هو في «الحقيقة شعاع الآب» كما يقول مرنم الكنيسة وكما يقول القديس يوحنا الإنجيلي:«إِنَّ اللهَ نُورٌ وَلَيْسَ فِيهِ ظُلْمَةٌ الْبَتَّةَ.»(١يوحنا ١: ٥) والقديس بولس الرسول الحكيم يُوضح قائلًا:«بأن الله الَّذِي وَحْدَهُ لَهُ عَدَمُ الْمَوْتِ، سَاكِنًا فِي نُورٍ لاَ يُدْنَى مِنْهُ، الَّذِي لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ وَلاَ يَقْدِرُ أَنْ يَرَاهُ، الَّذِي لَهُ الْكَرَامَةُ وَالْقُدْرَةُ الأَبَدِيَّةُ. آمِينَ» (١تيمو ٦ : ١٦).

وهذا ما يُؤكد عليه مرنم الكنيسة إذ يقول: «إننا بنورك الذي ظهر اليوم على ثابور أيها الكلمة النور الذي لا يستحيل. المولود من الآب النور غير المولود. رأينا الآب النور والروح القدس النور الذي ينير الخليقة كلَّها».

أيها الإخوة الأحبة نحن مدعوون اليوم من خلال هذا العيد الحاضر البهيج لكي نُعاين نور ثابور ونشترك في مجد هذا النور الأزلي غير المخلوق لإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح. لهذا فلنعمل كما يكرزُ بنا **القديس يوحنا الدمشقي** إذ يقول: « فلنُبعد عنا كل ما يُغشي ويُظلم عقولنا ويحزننا ولا يتركنا نرتفع ونسمو إلى السماوات فلنطرح عنا إذن الأرضيات لأن موطننا ليس على الأرض، ولنرتفع بعقولنا إلى السماوات حيث منها ننتظر المسيح ربنا ومخلصنا».

وكل عام وانتم بخير

الداعي بالرب

البطريرك ثيوفيلوس الثالث

بطريرك المدينة المقدسة أورشليم

مختارات من تعاليم القديس أنطونيوس الكبير الروحية ووصاياه المقدسة

عن كتاب بستان الرهبان (المطوّل)

الأقوال التالية مقتطعة من عدّة مقاطع وعظات، وأغلبها موجّهة إلى الرهبان وتبدأ بعبارة «يا بنيّ» وقد حُذفَت تخفيفًا للتكرار:

قبل كل شيء لا تحسب نفسك شيئًا، فمن هنا يُولَدُ الاتضاع، والاتضاع يَلِدُ التعليم، والتعليم يَلِدُ الإيمان، والإيمان يَلِدُ الرجاء، والرجاء يَلِدُ المحبة، والمحبة يَلِدُ الطاعة، والطاعة يَلِدُ الثبات بلا مُنازعٍ.

لا ترغب في أن تُعْرَف في شيء من أعمالك.

احتسب مَنْ هو دونك في الفضيلة مختارًا ومساويًا لك في الفضيلة، ومَن هو مساوٍ لك في الفضيلة مختارًا وأفضل منك.

إذا صنعت أعمالًا فاضلة، فلا تفتخر وتقُل إني صنعتها، لأنك إنْ ظَنَنْتَ أنك صنعتها فلستَ بحكيم.

لا تُزكِّ نفسك عند الناس، بل كُن في ذاتك حكيمًا وديعًا طويل الروح كثير الأناة مجتهدًا مُحبًا للبشرّ.

لا تمشِ مع المتكبرين، بل رافق المتواضعين.

تعرَّ من الشرّ والبس الوداعة.

أطرح عنك العين الخبيثة واتخذ لك عينًا بسيطة.

لا تتشبه بمن هو أضعف منك، بل بمن تراه مختارًا أكثر منك.

لا تَخفْ من شتائم الناس. لا تَنُمَّ ولا تشتم أحدًا.

ابْغضْ كل شيء قد تخسر فيه نفسك.

لا تترك مشيئة الله وتصنع إرادة الناس.

لا تحسد من يتقدم بالظلم، بل اجعل جميع الناس أعلى منك لكي يكون الله معك.

لا ترجع إلى ورائك فيما ابتدأتَ به من الأعمال الصالحة.

لا تَملّ من محبة الله.

اصبر في كل ما تُريد أن تصنعه، فإذا صبرت يُعضدك الله في كل ما تُريد أن تصنعه الآن وفيما يأتي.

ابغض الحديث الباطل في كل شيء لهذا العالم.

اجعل اهتمامك عظيمًا بالفضيلة وهو الذي يُصيرك يقظًا.

فإذا عملت بذلك يا ابني، فأنك ترث ما لم ترَه عين ولم تسمع به أُذن ولم يخطر على قلب بشرٍ.

لا تضجر من الأفكار التي تأتي عليك...، واعلم أن الرب لا ينسى شيئًا من أتعابك، وأن منها يكون لك النمو، ونعمة الله تعضدك.

ليكن القوم الذين أحبوا الرب بكل قلوبهم وداموا في العمل صورة لك ومثالًا، ولا تَستحي أن تطلب منهم (كلمة منفعة) لحياتك لأنهم قد تكلموا في الفضيلة.

لا تتشبه بالذين يداومون على الراحة في هذا العالم، لأنهم لا يتقدمون أبدًا، بل تشبه بالذين عاشوا تائهين في الجبال والبراري من أجل الله، لكي تأتي إليك القوة من العُلا ويطيب قلبك في كل شيء تصنعه بحسب مشيئة الله. لا ترجع إلى ورائك في شيء من هذه الوصايا الإلهية، والرب يسوع المسيح يريحك فتُكمِّل كل ما ابتدأتَ به من الأعمال الصالحة بسلامة، لأن آباءنا الكاملين ومَنْ ماثلهم بهذه قد كملوا.

لا تُكثر الكلام الباطل فتُبعد روح الله منك.

لا تتمسك بشيء من الشرّ، ولا تدن أحدًا.

لا تكن مرائيًا ولا كذابًا.

لا تتكلم بغضب بل ليكن كلامك بحكمة ومعرفة، وكذلك صمتك أيضًا، لأن آباءنا الحكماء كان كلامهم مملوءًا بالحكمة والتمييز، وكذلك صمتهم.

لا ترفع صوتك، وإذا مضيت إلى أحد فليكن خوف الله في قلبك، واحفظ فمك من كلام الشر، فترجع إلى بيتك بسلام.

ليكن لسانك تابعًا لعقلك، لأن الكلام بدون تعقل هو شوك وحسك.

احزن مع أخيك وكن له شريكاً صالحًا.

كن متواضعًا جميع أيام حياتك، وتمسَّك بكل شيء حسن.

لا تسأل عن الأشياء الرديئة، بل اجعل طريقك بعيدًا عنها.

أحبب الرحمة وتذرع بالإيمان.

لا تجعل قلبك رديئًا يُفكّر في الشرّ، بل اجعله صالحًا، واطلب الصلاح واقتنِ غيرة في جميع الأعمال الحسنة.

أحبب آباءك الروحانيين الذين يهتمون بك من أجل الله أكثر من تعلّقك بآبائك الجسدانيين.

أُذكر من يُكلّمك بالتعليم الصالح واحفظ وصاياه فتحيا ويطول عمرك في إرادة الرب، كما يقول الرسول: «ادرس في هذه الأمور وتشاغل بها لكي يكون تقدُّمك ظاهرًا لكل أحد» (أنظر ١تي٤: ١٣ – ١٥)

إذا شُتمْتَ لا تُبغض شاتمك.

لا تُنصت لكلام الشرّ، بل كن مُحبًا للناس فتحيا.

لا تُجازِ شرًا بشرّ ولا الشتيمة بشتيمة، لأنه مكتوب: «إذا أنت لم تنتصر لنفسك فأنا أنتصر لك، قال الرب».

لا تُبغض أحدًا من الناس، بل أحبِّب الجميع كنفسك كما هو مكتوب «أحبب قريبك كنفسك».

أيها الأمين المُختار، ما دُمت كائنًا في الطاعة فاعرف ما يُقال لك وتمسك به واعمل بمقتضاه. وإذا اجتمعت بالأمناء أمثالك فاختر لنفسك السماع واعرف ما يُقال، وذلك أفضل من الكلام.

الرجل المحب للذّات غير صالح في الأعمال.

إذا كنت بغير خطيئة فتكلّم باسم الرب، وعَلِّم الذين يُفترى على اسم الرب بسببهم لأنهم موتى عند الرب، لكي يرجعوا عن أعمالهم وينالوا الكرامة منه.

لتكن نفسك مع الله في كل وقت، وجسدك على الأرض كائنًا كالصورة والمثال.

نفاق عظيم أن تُحزن إنسانًا وتترفع عليه.

لا ينبغي أن تُعلِّم أحدًا شيئًا قبل أن تعمل به أولًا.

فكّر في أعمال الله ولا تَكسل، لأن صلاة الكسلان كلام باطل.

اجتهد أن تبتعد عن الناس العادمي الرأي.

عارٌ عليك أن تأمر غيرك بأوامر لم تُتممها في ذاتك، لأنك لا تنتفع بعمل غيرك.

الرجل الحكيم يعرف طريق سلوكه فلا يُبادر بالكلام، بل يتأمل فيما يقول وما يفعل، أما الرجل القليل الأدب فلا يحفظ ما يُقال له من الأسرار.

لا تُظهر كلمتك لمن لا يُقدّرها.

اجعل سائر الناس أحباء لك لكن ليس كلهم مُشيرين.

لا تجعل كل الناس أصدقاء، وإن صاروا لك أصدقاء فلا تأمن لهم كلهم، لأن العالم قد ثبت في المكر.

لا تجعل لك أخًا إلَّا مَن يخاف الربّ والتصق أنت بالله وحده مثل ابن بأبيه، لأن الناس جميعًا يسلكون بالغش ما خلا نُدرة منهم، والأرض قد امتلأت بالباطل والأتعاب والأحزان.

إن كُنت تحبّ المعيشة في الهدوء فلا تختلط مع المهتمين بالباطل. وإن صرت في وسطٍ فيه اختلاط بكثيرين فكن كَمَن ليس مختلطًا بهم إن كنت تُحب أن تُرضي الله.

تعبَّد للمسيح وهو يُخلصك وَيُعْتِقُكَ.

العمل الجيد الذي تشتهي أن تعمله لا تتكلم به فقط بل كمّلْه بالفعل.

لا تحب اللذات لأن كل من يحب اللذات لا يسمع له الرب.

اذكر أن مناقصك قد كثرت جدًا وشبابك قد عبر، وقد جاء الأوان الذي تُفارق فيه (الجسد) وتُعطي جوابًا عن أعمالك، واعلم أن أخًا لن يفدي أخاه وأبًا لا يُخلِّص ولده.

افرح في الشدائد الآتية عليك لأن ثمرتها تتبعها.

لا تستلذ بملذات العالم لئلا تموت موتًا رديئًا.

اسرع وانتبه لئلا تضل وتكسل وتتوانى فتكون حقيرًا في الدهر الآتي، لأنه مكتوب: «الويل للمتوانين، فإن آخرتهم قد اقتربت وليس لهم مُعين ولا رجاء خلاص».

مُت مع المسيح كل يوم لكي تحيا، لأن كل من يخاف الرب يحيا.

لا تنسَ الأتعاب التي احتملتَها لأجل الفضيلة، فتتكاسل وتضل في الساعة الأخيرة، بل أحبب الرب إلى المنتهى فتنال الرحمة.

لا تبتعد عن الله لأجل الزائلات، بل اذكر ما قررتَه في وقت حرارتك

اذكر دموع التوبة وتلك الطلبات التي طُلبت عنك، واسرع وابتعد من الأفكار الخبيثة لئلا تضل علانية.

حَمّ سريرك كل ليلة وبلّ فراشك بدموعك، واتضع أمام المسيح لكي يمحو خطاياك ويُجددك ويُعينك في الأعمال الصالحة، ويورثك ملكوته السرمدي.

هذا الذي ينبغي له التسبيح والإكرام والتمجيد والتقديس والسجود مع أبيه الصالح وروحه القدوس، الآن وكل أوان وإلى دهر الدهور آمين.

فرط – أفرط : فرط في القول: عجل وأسرع. وأفرط: جاوز الحد في قول أو فعل. وجاء في الشريعة: «إذا حلف أحد مفترطًا بشفتيه للإساءة أو للإحسان من جميع ما يفترط به الإنسان» (لا ٥: ٤)، أي تعجل في القول بغير روية (انظر أيضًا مز ١٠٥: ٣٢، أم ٥: ٢٣).

ويقول الرسول بولس للكنيسة في كورنثوس أن يسامحوا ويعزوا الأخ الذي حزن حزنًا شديدًا على خطيته، «لئلا يُبتلع، مثل هذا من الحزن المفرط» (٢كو ٢: ٧) أي الحزن الذي جاوز الحد.

ويقول عن نفسه: « لئلا أرتفع من فرط الإعلانات أُعطيت شوكة في الجسد» (٢كو ١٢: ٧)، أي من كثرة ما وصله من إعلانات. كما أنه كان قبل إيمانه يضطهد «كنيسة الله بإفراط» (غل ١: ١٣)، أي إنه كان يُسرف في اضطهادها.

المسيح
في العهد القديم والمجامع المسكونية

الأب يوحنا رومانيدس

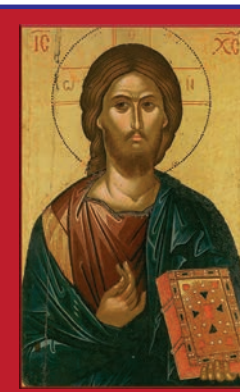

لقد فقد أو رفض أتباع **أوغسطين** الوجه الأساسي للإفتراضات الضمنية اللاهوتية المختصة بشخص المسيح في كل المجامع المسكونية. وهذا ما يطرح التساؤل حول ما إذا كان هؤلاء يقبلون هذه المجامع فعلًا.

كل الآباء، باستثناء وحيد هو **أوغسطين**، يُشَدِّدُونَ على أن يسوع المسيح قبل ميلاده من العذراء والدة الإله، في شخصه ٱلمُمَجَّدِ غير المخلوق، رب الصباؤوت، أظهر الله في شخصه لبطاركة وأنبياء العهد القديم. يوافق الأريوسيون والأفنوميون على أن من فعل هذا هو المسيح بشخصه او بأقنومه الذي تواجد قبل خلق الأجيال، ولكنهم يصرّون على أنه خُلق من عدم وبالتالي هو ليس من نفس طبيعة الله الذي هو وحده الله بالطبيعة.

ولكي يبرهن الأريوسيون والأفنوميون رأيهم ناقشوا، كما فعل **اليهودي تريفو** مع **يوستينوس الشهيد**، بأن من قال في العليقة المحترقة «أهيه الذي أهيه» «אֶהְיֶה אֲשֶׁר אֶהְיֶה» (خروج ٣:١٤) (انا هو الذي هو) لم يكن ملاك الرب بل الله نفسه من خلال الكلمة الملاك المخلوق. بالمقابل يشدد الآباء على ان الملاك الكلمة أعلن هذا عن نفسه وليس فقط عن الله، فملاك الرب تكلم بحكم حقه عندما قال لموسى «أَنَا إِلهُ أَبِيكَ، إِلهُ إِبْرَاهِيمَ وَإِلهُ إِسْحَاقَ وَإِلهُ يَعْقُوبَ» (خروج ٣:٦).

يناقش **القديس أثناسيوس** في مواجهة الأريوسيين ان اسم «ملاك» ينطبق أحيانًا على الكلمة غير المخلوق وأحيانًا على ملاك مخلوق. ويركز على أنه ليس هناك أي إمكانية للخلط بين أن يرى الإنسان ملاكًا مخلوقًا أو ان يرى ابن الله غير المخلوق الذي يُدعى أحيانًا «ملاك» في العهد القديم. وأيضًا يركز على أن «عندما يُرى الابن يُرى الآب، لأن الابن هو شعاع الآب. وعليه فالآب والابن واحد... واضح جدًا أن الله يتكلم من خلال الكلمة وليس من خلال أي أحد آخر... ومن رأى الابن يعرف أنه لم يرَ ملاكًا ولا رأى أعظم من الملائكة وحسب وباختصار لم يرَ خليقة بل رأى الآب نفسه. ومن يسمع الكلمة يعرف أنه يسمع الآب؛ لأن من يغمره الشعاع، يعرف انه مستنير بالشمس» (ضد الأريوسيين،III، ١٢-١٤). ويقول **القديس أثناسيوس**، أن مفتاح العهد القديم هو معرفة أن «الآب لا يعمل شيئًا إلّا بواسطة الابن» (المرجع نفسه ١٢).

هذا يعني ان **المسيح هو المركز في العهد القديم** لأنه **الملاك الْمَا قبل المتجسد، ملاك الرب وملاك المجلس الأعلى، رب المجد ورب الصباؤوت** الذي به رأى الأنبياء وسمعوا الله وبواسطته حصلوا على النعمة والمعونة والغفران.

اتفق الأرثوذكس مع الأريوسيين على أن الملاك الكلمة الذي ظهر وأظهر الله للأنبياء هو نفسه الذي أصبح إنسانًا ومسيحًا. يجب أن يؤخذ هذا الاتفاق بجدية كاملة على أنه مفتاح لفهم قرارات المجمع الأول والمجامع المسكونية اللاحقة. ومن الضروري إدراك ان الجدل بين الأرثوذكسيين والأريوسيين لم يكن تأملًا بشخص ثانٍ نظري في الثالوث الأقدس. يستطيع البعض الادعاء باستنباط شخصيته من التمعن في المقاطع الانجيلية بمساعدة الفلسفة اليونانية والروح القدس. لقد كانوا يناقشون خبرة الأنبياء والرسل الروحية، خاصةً موضوع ما إذا كان الشخص الذي ظهر في مجد، وأعلن نفسه كصورة لله وأعلن الآب كنموذج أصلي، **هو كلمة مخلوق أم لا**.

وقد استمر النقاش نفسه الى المجمع المسكوني الثاني لأن الأفنوميين اتخذوا نفس مواقف الأريوسيين في ما يتعلق بظهورات الكلمة الملاك – الذي زعموا انه مخلوق – للأنبياء. بادر **القديس باسيليوس الكبير افنوميوس** بشيء من فقدان الصبر بالقول:

{أيها الملحد، ألن تتوقف عن دعوته بغير الكائن وهو مَن بالحقيقة كائن ومصدر للحياة، وهو من يعطي الكائنات كيانها او عدمه؟ هو الذي استعمل، عندما كلّم عبده موسى، كنيته الخاصة والمناسبة لأبديته، مسميًا نفسه «الذي هو». لأنه قال «أنا هو الذي هو». وأحد لن ينكر هذه الأشياء التي قالها شخص الرب، أحد من الذين ليس «حِينَ يُقْرَأُ مُوسَى، الْبُرْقُعُ مَوْضُوعٌ عَلَى قَلْبِهِمْ.» (٢ كور ٣: ١٥). لأنه مكتوب، ان ملاك الرب ظهر لموسى في «لهيب نار من وسط عليقة» (خروج ٣: ٢). وفي حين ان الكتاب يقدّم ملاكًا في الرواية، يتبع صوت الرب: «ثُمَّ قَالَ أَنَا إِلهُ أَبِيكَ، إِلهُ إِبْرَاهِيمَ» (خروج ٣: ٦). وبعد ذلك بقليل «أنا هو الذي هو». إذًا من هو هذا الملاك والرب معًا؟ أليس إذًا هو الذي تعلمنا انه يدعى «رسول الرأي العظيم» (أشعيا ٩: ٦)}.

يلخص **القديس باسيليوس** ملاحظات **القديس أثناسيوس الكبير** والآباء الأوائل حول اللقاء بين الملاك الكلمة ويعقوب، ويعطي صياغة للمبدأ التأويلي نفسه كما نرى لدى أسقف الإسكندرية. {«انه واضح للجميع، انه حيثما يدعى الشخص نفسه ملاكًا والله معًا، فالمدعو هو الابن المولود الذي يظهر نفسه للبشر من جيل الى جيل

ويعلن ارادة الآب لقديسيه. إذًا يجب ألَّا نفتكر بأن الذي سمّى نفسه بآسم «الذي هو» لموسى، هو غير الله الكلمة الذي هو «في البدء مع الله» (يوحنا ١:١-٢)}(**دحض افنوميوس**).

في جوابه على حجج **القديس باسيليوس**، إدّعى **افنوميوس** أن الابن هو ملاك «الذي هو»، ولكن ليس «الذي هو» نفسه. هذا الملاك يدعى إلهًا لاظهار تقدمه على كل ما خلقه هو، دون أن يعني هذا أنه هو «الذي هو». {إذًا **افنوميوس** يدعي أن المرسِل الى موسى كان «الذي هو» نفسه أما المرسَل وهو الذي تكلم كان ملاك «الذي هو» ورب غيره من المخلوقات}. (**غريغوريوس النيصصي**، ضد افنوميوس ١١).

قد تبدو حدة الذهن السفسطية في هذه الحجة غريبة ولكنها مهمة للشهادة على حقيقة التطابق بين الملاك المدعو الله في العهد القديم والمسيح الابن الوحيد المولود من الله والخالق. وهذا التطابق كان راسخًا في التقليد بشكل لم يستطع الأفنوميون التفكير بالتخلي عنه كما أراد **اوغسطين** أن يفعل في افريقيا الشمالية بالرغم من أن معلمه (**أمبروسيوس**) وكل الآباء الغربيين وافقوا مع هذا التقليد.

لم يستطع **القديس باسيليوس** الرد على **أفنوميوس** لأنه توفي ولكن أخاه **غريغوريوس** كتب إثني عشر كتابًا ضد **أفنوميوس** وناقشها مع **القديس جيروم** خلال **المجمع المسكوني الثاني عام ٣٨١**. ويعالج **القديس غريغوريوس** من بين جملة أمور أن «إذا كان موسى صلى أن لا يقود الشعب ملاك إنما السيد» (خروج ٣٣:١٥، ٣٤:٩) [(هوذا ملاكي يسير أمامك (خروج ٣٢:٣٤) وأنا أرسل أمامك ملاكًا (خروج ٣٣:٢)] وإن كان الرب هو مَن يناقش موسى ليكون مرافقًا له وقائدًا للجيش (خروج ٣٣: ٢و١٧) فيظهر جليًا أن الذي عرَّف عن نفسه بصفة «الذي هو» هو الله المولود الوحيد. وإذا أنكر أحد ما هذا فهو يظهر نفسه مؤيدًا للمذهب اليهودي في عدم الربط بين الابن وتحرر الشعب. لأنه إن لم يكن الملاك هو الذي تقدم الشعب وإن لم يكن الابن هو الذي أظهر نفسه بإسم «الذي هو»، كما يقول **أفنوميوس**، فنبلغ الى نقل عقائد المجمع (synagogue) الى كنيسة الله. وعليه فيجب تبني أحد الاحتمالين، إمَّا أن الابن لم يظهر لموسى أبدًا، أو ان الابن هو نفسه «الذي هو» ومنه أتت الكلمة لعبده. ولكن **أفنوميوس** يخالف ماسبق قوله متذرعًا بالكتاب نفسه (خروج ٣:٢) حيث يقرأ أن صوت ملاك تدخّل وبهذا بدأت محادثة «الذي هو». وهذا في كل الأحوال ليس معارضة بل تأكيدًا لنظرتنا. وأيضًا قال ان النبي، لكي يُظهر للناس سرّ المسيح، سمّاه «الذي هو» و«الملاك»، ولا يمكن أن تعني هذه الكلمات الآب كما لو انه لم يستعمل إلَّا «الذي هو» في المناقشة (**ضد افنوميوس، XI، ٣**).

يجب أن تكون المقاطع المأخوذة من الآباء، أعمدة المجمَعَيْن المسكونيَّيْن الأول والثاني، دلالات كافية على أن آباء المَجْمَع كانوا يرون تشابهًا بين عقيدة الثالوث القدوس وظهورات المسيح الكلمة LOGOS بدون جسد للأنبياء وبطبيعته البشرية للرسل. ما من أحد في التقليد، باستثناء **اوغسطين**، أنكر تماثل الكلمة، في شخصه المجرد الذي أظهر اله العهد القديم غير المنظور للأنبياء، والذي أصبح انسانًا واستمر في إظهار مجد الله في ومن خلال طبيعته البشرية التي أخذها من العذراء.

لم يختلف **الأرثوذكسيون** مع **الأريوسيين والأفنوميين** على من هو الكلمة في العهدين القديم والجديد بل على ما هو الكلمة وما هي علاقته بالله الآب. لقد اعتبر **الأرثوذكسيون** دائمًا ان الكلمة ليس مخلوقًا ولا متغيرًا وموجودًا دائمًا من **جوهر** (٣٢٥) و **أقنوم** (٣٨١) الآب الذي بطبيعته هو مبدأ وجود الابن منذ الأزل قبل الأجيال. **الأريوسيون والأفنوميون** أَصَرُّوا على أن هذا الملاك-الكلمة (ملاك وكلمة في آنٍ) هو مخلوق متغير يستمد وُجُودَهُ الأزلي من العدم وليس مخلوقًا من طبيعة الله بل من إرادته.

إذًا السؤال الأساسي كان: هل ما رآه الأنبياء والرسل في مجد الله غير المخلوق (الأرثوذكس والأريوسيون) او القوى المخلوقة (الأفنوميون) هو كلمة مخلوق أم غير مخلوق؟ هذا الكلمة هو الله بالطبيعة وبالتالي لديه كل قوى الله بالطبيعة؟ أم هم رأوا الهًا بالنعمة لديه بعض وليس كل قوى الآب وبالتالي هو يملكها بالنعمة فقط وليس بالطبيعة؟ لقد توافق الأرثوذكس مع الأريوسيين والأفنوميين على أنه إن كان الكلمة يملك كل قوى الآب بالطبيعة إذًا هو غير مخلوق وإلَّا فهو مخلوق.

فالسؤال المطروح كان خبرات الإعلان او التمجيد او التَّأَلُّهَ التي أعطاها الله بروحه بواسطة كلمته الملاك المسيح للأنبياء والرسل والقديسين. هذه الخبرات في حياة القديسين مسجلة أولًا في الكتاب المقدس وأيضًا في دستور العنصرة ما بعد الإنجيل وفي جسد المسيح ، الكنيسة. إذًا يعود الطرفان الى آباء كل الأجيال بِسِيَرِهِم المسجلة ابتداءً بالتكوين وصولًا الى أيامهم. لم يستطيعوا التوافق على مصداقية authority شهادات زمانهم، العهد القديم والعهد الجديد شكَّلا أرضية مشتركة للمناقشة إضافة الى التقليد الآبائي الأول.

إذًا الأرثوذكس والهراطقة استعملوا الكتاب المقدس لبرهان ما إذا كان الأنبياء والرسل شاهدوا إلهًا مخلوقًا أم غير مخلوق، او شخص المسيح قبل وبعد تَجَسُّدِهِ. المناقشة بسيطة إذ كان كل من الطرفين يحضّر لائحة بكل قوى الله المسجلة في الكتاب، والشيء نفسه بالنسبة للملاك الكلمة الابن الوحيد المولود. والمطلوب كان أن تتطابق هذه اللوائح وليس فقط أن تتشابه لأنها إذا تطابقت يكون غير مخلوق إما إذا تشابهت فقط فهو مخلوق. والعملية نفسها طُبِّقَت على الروح القدس.

توافق الفريقان الأرثوذكسي والأريوسي كليًا مع التقليد الموروث من العهد القديم والمشهود له من الرسل والقديسين الذين أظهر الله لهم مجده في ابنه المتجسد. هذا التقليد يقول بأن المخلوقات لا تستطيع أن تعرف جوهر الله غير المخلوق وليس هناك أي تشابه بين غير المخلوق والمخلوق من العدم ex nihilo. إذًا لكي يبرهن الأريوسيون أن الكلمة مخلوق، اعتبروا انه لا يعرف لا جوهر الآب ولا حتى جوهره هو، وبالتالي هو لا يشبه الله في شيء.الأرثوذكسيون اعتبروا ان الكلمة

يعرف جوهر الآب وهو مشابه له في كل شيء، ويملك بالطبيعة كل ما هو في طبيعة الآب ما عدا الأبوة أي أن يكون مبدأ وجود الابن والروح القدس.

ألأرثوذكسيون والأريوسيون كانوا متفقين على ان ما هو الله بنفسه بالطبيعة يختلف عمَّا هو او ما يفعل بالمشيئة، ولكنهم اختلفوا بحدة في تطبيق هذا التمييز بين الجوهر الإلهي والإرادة او القوى. وعليه فقد اعتبر الأرثوذكسيون ان الله يسبب وجود الكلمة بالطبيعة ويسبب وجود المخلوقات بالمشيئة، بينما اعتبر الأريوسيون ان الكلمة وكل المخلوقات معه هم نتاج المشيئة الإلهية.

مقابل كل هذه الأسئلة، قال **الأفنوميون** بإن جوهر الله هو نفسه قوى الله غير المخلوقة، وإن الكلمة هو نتاج قوة الله المخلوقة وإن الروح القدس هو نتاج قوة الكلمة المخلوقة وإن كل ذبيحة[١] species هي نتاج إحدى القوى المخلوقة في الروح القدس. وبحسب **أفنوميوس**، لو لم تكن كل ذبيحة تملك قواها الشخصية من الروح القدس لكان هناك ذبيحة واحدة مخلوقة وليس أكثر. هنا **أفنوميوس** يسخر، على طريقته الخاصة، من شهادة الكتاب والآباء حول التمجيد حيث يتشارك كل مخلوق ويشترك كل قديس مع الكلمة الحاضر للجميع من خلال إكثار مجده غير المخلوق المتوفر بالكلية –وليس جزئيًا– لكل شخص، فهذا المجد هو لكل شخص وبه كما علّم المسيح (يوحنا ١٤ :٢-٢٣) وأختُبر في العنصرة (أعمال ٢ :٣-٤) والذي يحمل في الكلمة الآب والروح القدس معًا. هذا يعني أنه ليس في الله أية عوالم وأنه لا يغذي بخبز القربان وخمره فقط بل بكل أجزاء الوجود وأشكاله المتعددة. وعليه لا يضّحي المسيح بأي شخص من أجل منفعة مشتركة ولكن في الوقت نفسه، المنفعة المشتركة هي خير لكل شخص بمفرده. وهكذا تكون عودة المسيح الى تلاميذه بروح المجد في العنصرة نتيجة لسر صعود المسيح بمجده الشخصي، وهو الآن موجود بالكلية لجميع وفي جميع الذين هم في حالات الاستنارة والتمجيد (theosis). لهذا السبب، كل من يتناول من جسد ودم المسيح في الإفخارستيا، لا يحصل على جزء من المسيح وحسب، بل على كامل طبيعته البشرية التي لا تزال تُجَدِّدُ نفسها منذ العنصرة، في كل عضو من جسده (الكنيسة) بشكل غير قابل للانقسام.إذًا بالمشاركة في خبز الإفخارستيا الواحد وبالكأس الواحدة، يحصل كل عضو على المسيح بكامله وليس على جزء فقط، ويصير ما هو أصلًا، هيكلًا او مسكنًا للآب والروح القدس بواسطة الابن المتجسد، بالمشاركة مع الأعضاء الآخرين في جسد المسيح.

[١] الترجمة الحرفية لكلمة species هي خبز القربان وخمر

النُسك في حياة الرهبنة
للقديس باسيليوس الكبير

مبدأ رفض الانسان الروحي لممتلكاته

٥) فكمال الزُّهد ألَّا نترك لنا شيئًا مما في العالم، بل نحتقر الحياة (الماديّة) أيضًا. وأن نجعل الموت قدّامنا (نتذكره باستمرار) حتى نقول: «نحن أيضًا لسنا متكلين على أنفسنا».

ونترك كلّ ما لا ربح (مادي) فيه، كما فعل تلميذا الربّ يعقوب ويوحنا. اللذان تركا أبويهما والسفينة، فتخلّصا من حياتهما العالميّة. وما كان بها من مقوّمات. والقديس متّى البشير ترك جمع الضرائب وقام وتَبِعَ الربّ. فلم يترك ربحه المادي فقط، بل واحتقر ما تلحقه من كرامة عالمية لتهاونه بالسُّلطَة، إذ ترك مركزه العالمي الكبير الذي كان يشغله.

وكذلك القديس بولس الرسول الذي ترك كلَّ شيء وتَبِعَ الربّ يسوع، وصُلِبَ العالَم له. «وَأَمَّا مِنْ جِهَتِي، فَحَاشَا لِي أَنْ أَفْتَخِرَ إِلَّا بِصَلِيبِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي بِهِ قَدْ صُلِبَ الْعَالَمُ لِي وَأَنَا لِلْعَالَمِ.» (غل ٦: ١٤)

٦) فالذي يشتهي بالحقيقة أن يتبع المسيح، لا يلتفت إلى الخلف، ولا ينظر إلى مغريات هذا العالم.

ولا يتطلّع إلى محبّة آبائه الجسدانيين إذا ما أرادوا أن يُعثروه في اتمام أوامر الربّ ووصاياه، فطاعة الربّ أوجَب من طاعة الأهل.

فإنّ الرُّسُلَ القديسين سلكوا الطريق الفُضلَى: «يجب أن يُطاع الله أكثر من الناس» (أع ٥:٢٩).

وعندما كانوا يصنعون خيرًا، ويسخر منهم الجهلاء، لم يلتفتوا إلى هذا ولا إلى ذاك، ولم يتأثّروا من استهزاء الناس لهم.

٧) وإذا كان الرسول بولس قد عدَّ بعض وصايا الناس خسارة، كالختان، وحِفْظ السبت، لأنها صارت له عثرة بعدما آمن بالمسيح، فماذا يقول الانسان المبتعد عن الناس إذا ما رجعَ إلى حياة العالم.

٨) وما الحاجة بعد أن نقول كلامًا من جهتنا، أو بشهادة قديس، كما قال ربّنا للشّاب الغني:«قبل كل شيء، إمضِ وَبع كُلّ ما لكَ وأعطِهِ للمساكين». وأضافَ قائلًا: «وحينئذٍ تعال اتبعني» (مت ١٩).

ثمّ ذكر لهذا المعنى مثلًا فقال: «أَيْضًا يُشْبِهُ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ إِنْسَانًا تَاجِرًا يَطْلُبُ لآلِئَ حَسَنَةً، فَلَمَّا وَجَدَ لُؤْلُؤَةً وَاحِدَةً كَثِيرَةَ الثَّمَنِ، مَضَى وَبَاعَ كُلَّ مَا كَانَ لَهُ وَاشْتَرَاهَا» (مت ١٣:٤٥-٤٦).

فالدّرة هي ملكوت السموات. وقد أظهر لنا الرب أنه غير ممكن أن ننالها إذا لم نترك كلّ شيء، ونعطيه القلب والحُب عِوَضًا عنها.

الاستشهاد والحب الإلهي

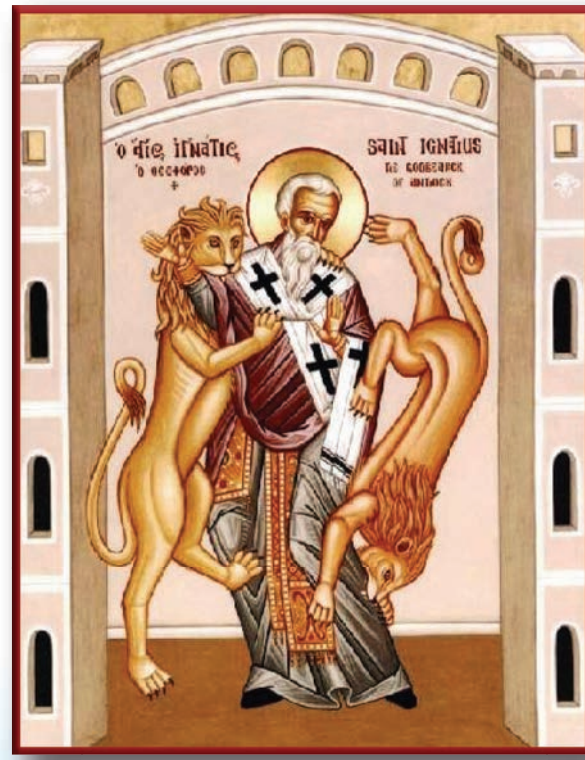

القديس أغناطيوس الأنطاكي بين أنياب الأسود

✝ « وَهُمْ غَلَبُوهُ بِدَمِ الْخَرُوفِ وَبِكَلِمَةِ شَهَادَتِهِمْ، وَلَمْ يُحِبُّوا حَيَاتَهُمْ حَتَّى الْمَوْتِ.» (رؤ ١٢: ١١).

✝ محبة الله هي مصدر كل عمل صالح:

إنَّ أُنشودة المحبة التي كتبها بولس الرسول في رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس (الأصحاح ١٣)، تُبيِّن لنا أنه بدون محبة الله لا يُحسَب لنا أي عمل أنه صالح. فلا التكلُّم بألسنة الناس والملائكة، ولا التنبُّؤ ومعرفة جميع الأسرار وكل عِلْم، ولا الإيمان الذي ينقل الجبال، ولا إطعام الجياع بكل ما لدينا من مال، ولا تسليم الجسد حتى يحترق، ولا أي بَذْل من أيِّ نوع، ما دام بلا محبة فليس شيئًا!!

والرب يسوع قال لتلاميذه نفس هذا الكلام مُبيِّنًا لهم أنَّ محبة الله هي التي تجعلنا نحفظ وصاياه قائلًا: «إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَنِي فَاحْفَظُوا وَصَايَايَ، وَأَنَا أَطْلُبُ مِنَ الآبِ فَيُعْطِيكُمْ مُعَزِّيًا آخَرَ لِيَمْكُثَ مَعَكُمْ إِلَى الأَبَدِ، رُوحُ الْحَقِّ الَّذِي لاَ يَسْتَطِيعُ الْعَالَمُ أَنْ يَقْبَلَهُ، لأَنَّهُ لاَ يَرَاهُ وَلاَ يَعْرِفُهُ، وَأَمَّا أَنْتُمْ فَتَعْرِفُونَهُ لأَنَّهُ مَاكِثٌ مَعَكُمْ وَيَكُونُ فِيكُمْ.... إِنِّي أَنَا حَيٌّ فَأَنْتُمْ سَتَحْيَوْنَ. فِي ذلِكَ الْيَوْمِ تَعْلَمُونَ أَنِّي أَنَا فِي أَبِي، وَأَنْتُمْ فِيَّ، وَأَنَا فِيكُمْ. الَّذِي عِنْدَهُ وَصَايَايَ وَيَحْفَظُهَا فَهُوَ الَّذِي يُحِبُّنِي، وَالَّذِي يُحِبُّنِي يُحِبُّهُ أَبِي، وَأَنَا أُحِبُّهُ، وَأُظْهِرُ لَهُ ذَاتِي... إِنْ أَحَبَّنِي أَحَدٌ يَحْفَظْ كَلاَمِي، وَيُحِبُّهُ أَبِي، وَإِلَيْهِ نَأْتِي، وَعِنْدَهُ نَصْنَعُ مَنْزِلًا.» (يو١٤: ١٦-١٧، ٢١، ٢٣-٢٣).

هنا نُلاحِظ أنَّ الرب يسوع - بعد أن أكَّد أنَّ محبته هي التي تجعلنا نحفظ وصاياه - يكشف عن عنصرٍ آخر وَعَدَنا به، وهو **المعزِّي الروح القدس** الذي هو ماكثٌ معنا ويكون فينا، وهو الذي بواسطته نعْلَم أنَّ الرب يسوع في أبيه وأننا فيه وهو فينا، وأنَّ الذي يحبه ويحفظ وصاياه يحبه الآب والابن والروح القدس الإله الواحد المثلث الأقانيم، ويُظهِر له ذاته، وإليه يأتي وعنده يصنع منزلًا.

✝ الروح القدس ومحبة الله:

ويؤكِّد الرسول بولس هذه الحقيقة الهامة بقوله: «لأَنَّ مَحَبَّةَ اللهِ قَدِ انْسَكَبَتْ فِي قُلُوبِنَا بِالرُّوحِ الْقُدُسِ الْمُعْطَى لَنَا.» (رو٥: ٥).

ويشرح القديس يوحنا الذهبي الفم هذه الآية المملوءة أسرارًا بقوله:

{«لأَنَّ مَحَبَّةَ اللهِ قَدِ انْسَكَبَتْ فِي قُلُوبِنَا». لم يَقُل: «أُعطِيَتْ»، بل قال: «انْسَكَبَتْ فِي قُلُوبِنَا»، مُبيِّنًا بذلك غزارة العطية. لأنَّ العطية العُظمى، بصفة مُطلقة، هذه قد أعطاها لنا، وما هي؟ لم يُعطِنا السماء والأرض والبحر، بل عطية أكرم من هذه جميعها، بها حوَّلنا من بشر إلى ملائكة؛ بل إلى أبناء الله وإخوة المسيح! فما هي هذه العطية؟ إنه الروح القدس! فلولا أنَّ الله نوى أن يمنحنا الأكاليل الفائقة بعد الأتعاب، لَما كان يُعطينا من قَبْل هذه الأتعاب مثل هذه الخيرات.

وأما الآن فحرارة محبته ظهرت في هذا: إنه لم يُكرِّمنا تكريمًا بسيطًا أو قليلًا، بل سَكَبَ علينا بغزارة ينبوع الخيرات، وذلك من قَبل أن نُقدِّم أية جهادات}[1].

كما يقول يوحنا الرسول أيضًا: «أَيُّهَا الأَحِبَّاءُ، لِنُحِبَّ بَعْضُنَا بَعْضًا، لأَنَّ الْمَحَبَّةَ هِيَ مِنَ اللهِ، وَكُلُّ مَنْ يُحِبُّ فَقَدْ وُلِدَ مِنَ اللهِ وَيَعْرِفُ اللهَ. وَمَنْ لاَ يُحِبُّ لَمْ يَعْرِفِ اللهَ، لأَنَّ اللهَ مَحَبَّةٌ. بِهذَا أُظْهِرَتْ مَحَبَّةُ اللهِ فِينَا: أَنَّ اللهَ قَدْ أَرْسَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ إِلَى الْعَالَمِ لِكَيْ نَحْيَا بِهِ. فِي هذَا هِيَ الْمَحَبَّةُ: لَيْسَ أَنَّنَا نَحْنُ أَحْبَبْنَا اللهَ، بَلْ أَنَّهُ هُوَ أَحَبَّنَا، وَأَرْسَلَ ابْنَهُ كَفَّارَةً لِخَطَايَانَا.» (١يو٤: ٧-١٠).

من هذا يتضح أنَّ المحبة ليست منَّا بل نابعة من الله، وأنَّ كل مَن يحب لابدّ أن يكون قد عرف الله ووُلِدَ من الله. إذن، فالمحبة هي من الخليقة الجديدة، من «الَّذِينَ وُلِدُوا لَيْسَ مِنْ دَمٍ، وَلاَ مِنْ مَشِيئَةِ جَسَدٍ، وَلاَ مِنْ مَشِيئَةِ رَجُلٍ، بَلْ مِنَ اللهِ.» (يو١: ١٣)، لأنَّ «الْمَوْلُودُ مِنَ الْجَسَدِ جَسَدٌ هُوَ، وَالْمَوْلُودُ مِنَ الرُّوحِ هُوَ رُوحٌ.» (يو٣: ٦).

كما أنَّ محبة الله لم تكن معروفة لنا إلَّا حينما أَرْسَلَ الله ابنه الوحيد إلى العالم لكي نحيا به: «لأَنَّهُ هكَذَا أَحَبَّ اللهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَذَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ، لِكَيْ لاَ يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ، بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ.» (يو٣: ١٦). لذلك يُضيف يوحنا الرسول أيضًا قائلًا في رسالته: «اَللهُ مَحَبَّةٌ، وَمَنْ يَثْبُتْ فِي الْمَحَبَّةِ، يَثْبُتْ فِي اللهِ وَاللهُ فِيهِ...لاَ خَوْفَ فِي الْمَحَبَّةِ، بَلِ الْمَحَبَّةُ الْكَامِلَةُ تَطْرَحُ الْخَوْفَ إِلَى خَارِجٍ لأَنَّ الْخَوْفَ لَهُ عَذَابٌ. وَأَمَّا مَنْ خَافَ فَلَمْ يَتَكَمَّلْ فِي الْمَحَبَّةِ.نَحْنُ نُحِبُّهُ لأَنَّهُ هُوَ أَحَبَّنَا أَوَّلًا.» (يو٤: ١٦، ١٨، ١٩).

إذن، فإن كان الله هو المحبة، فليس هناك ما هو أعظم وأسمى وأكمل من المحبة. لذلك يقول بولس الرسول عن المحبة: «اَلْمَحَبَّةُ لاَ تَسْقُطُ أَبَدًا. وَأَمَّا النُّبُوَّاتُ فَسَتُبْطَلُ، وَالأَلْسِنَةُ فَسَتَنْتَهِي، وَالْعِلْمُ فَسَيُبْطَلُ... أَمَّا الآنَ فَيَثْبُتُ: الإِيمَانُ وَالرَّجَاءُ وَالْمَحَبَّةُ، هذِهِ الثَّلاَثَةُ وَلكِنَّ أَعْظَمَهُنَّ الْمَحَبَّةُ.» (١كو١٣: ٨-١٣).

ويُعلِّق القديس إيرينيئوس على ذلك قائلًا:

{إنَّ موهبة الحب الفائق أثمن من المعرفة، وأكثر مجدًا من النبوّة، وهي تتفوّق على كافة المواهب. ولذلك فإنَّ الكنيسة بسبب محبتها لله، تُرسِل نحو الآب في كلِّ مكان وكل زمان جماهير من الشهداء... فالكنيسة وحدها تحتمل بنقاوة عار المطرودين من أجل البِرّ، والمفديِّين بكل نوع حتى الموت، من أجل محبتهم لله واعترافهم بابنه}[2].

✝ الاستشهاد والحب الإلهي:

حينما أرسل الرب يسوع تلاميذه ليكرزوا، أعلمهم بما سوف يُقابلونه من ضيقات وآلام حتى الموت! ولم يُخْفِ عنهم شيئًا مِمَّا سيُلاقونه، وذلك بقوله: «هَا أَنَا أُرْسِلُكُمْ كَغَنَمٍ فِي وَسْطِ ذِئَابٍ، فَكُونُوا حُكَمَاءَ كَالْحَيَّاتِ وَبُسَطَاءَ كَالْحَمَامِ. وَلكِنِ احْذَرُوا مِنَ النَّاسِ، لأَنَّهُمْ سَيُسْلِمُونَكُمْ إِلَى مَجَالِسَ، وَفِي مَجَامِعِهِمْ يَجْلِدُونَكُمْ. وَتُسَاقُونَ أَمَامَ وُلاَةٍ وَمُلُوكٍ مِنْ أَجْلِي شَهَادَةً لَهُمْ وَلِلأُمَمِ. فَمَتَى أَسْلَمُوكُمْ فَلاَ تَهْتَمُّوا كَيْفَ أَوْ بِمَا تَتَكَلَّمُونَ، لأَنَّكُمْ تُعْطَوْنَ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ مَا تَتَكَلَّمُونَ بِهِ، لأَنْ لَسْتُمْ أَنْتُمُ الْمُتَكَلِّمِينَ بَلْ رُوحُ أَبِيكُمُ الَّذِي يَتَكَلَّمُ فِيكُمْ. وَسَيُسْلِمُ الأَخُ أَخَاهُ إِلَى الْمَوْتِ، وَالأَبُ وَلَدَهُ، وَيَقُومُ الأَوْلاَدُ عَلَى وَالِدِيهِمْ وَيَقْتُلُونَهُمْ، وَتَكُونُونَ مُبْغَضِينَ مِنَ الْجَمِيعِ مِنْ أَجْلِ اسْمِي. وَلكِنِ الَّذِي يَصْبِرُ إِلَى الْمُنْتَهَى فَهذَا يَخْلُصُ.» (مت١٠: ١٦-٢٢).

ثم أردف أيضًا قائلًا لهم: «وَلاَ تَخَافُوا مِنَ الَّذِينَ يَقْتُلُونَ الْجَسَدَ وَلكِنَّ النَّفْسَ لاَ يَقْدِرُونَ أَنْ يَقْتُلُوهَا، بَلْ خَافُوا بِالْحَرِيِّ مِنَ الَّذِي يَقْدِرُ أَنْ يُهْلِكَ النَّفْسَ وَالْجَسَدَ كِلَيْهِمَا فِي جَهَنَّمَ ... وَأَمَّا أَنْتُمْ فَحَتَّى شُعُورُ رُؤُوسِكُمْ جَمِيعُهَا مُحْصَاةٌ. فَلاَ تَخَافُوا! أَنْتُمْ أَفْضَلُ مِنْ عَصَافِيرَ كَثِيرَةٍ! فَكُلُّ مَنْ يَعْتَرِفُ بِي قُدَّامَ النَّاسِ أَعْتَرِفُ أَنَا أَيْضًا بِهِ قُدَّامَ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ، وَلكِنْ مَنْ يُنْكِرُنِي قُدَّامَ النَّاسِ أُنْكِرُهُ أَنَا أَيْضًا قُدَّامَ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ.» (مت ١٠: ٢٨-٣٢).

ماذا تستطيع الغنم أن تفعل وسط الذئاب؟ ولكن الرب الذي أرسلهم هو المُتكفِّل بهم، لذلك يقول لهم الرب مُطمئِنًا وضامنًا لخلاصهم: « فَضَعُوا فِي قُلُوبِكُمْ أَنْ لاَ تَهْتَمُّوا مِنْ قَبْلُ لِكَيْ تَحْتَجُّوا، لأَنِّي أَنَا أُعْطِيكُمْ فَمًا وَحِكْمَةً لاَ يَقْدِرُ جَمِيعُ مُعَانِدِيكُمْ أَنْ يُقَاوِمُوهَا أَوْ يُنَاقِضُوهَا.» (لو٢١: ١٤-١٥). كما أنَّ الرب قد ملأ قلوبهم بقوةٍ فائقة نابعة من محبتهم النارية له، تلك التي انسكبتْ في قلوبهم بالروح القدس المُعطَى لهم، والناطق فيهم بكل حكمة وفطنة؛ مِمَّا جعلهم لا يهابون التعذيب مهما كانت أشكاله، ولا الموت مهما تعدَّدت أساليبه.

وفي هذا يقول القديس كليمندس الإسكندري:

{إنَّ الشهيد بسبب حبه للربِّ، يُفارِق الحياة بكل سرور... ولذلك نحن ندعو الاستشهاد «كمالًا»، ليس لأنَّ الإنسان به يصل إلى نهاية حياته مثل الباقين، بل لأنه به يُظهِر كمال فِعْل المحبة... ثم إن كان الاعتراف من أجل الله يُعتَبَر شهادة، فإنَّ كل نفس تسلك بالنقاوة وبمعرفة الله وتحفظ وصاياه، فإنها تكون شاهدة (أو شهيدة) بسيرتها وبكلامها، حتى أنها مهما كانت الطريقة التي تُفارِق بها جسدها، فهي تسكب إيمانها عِوَض الدم طوال حياتها وحتى إلى وقت خروجها (من الجسد). ولذلك قال الرب في الإنجيل: «وَكُلُّ مَنْ تَرَكَ بُيُوتًا أَوْ إِخْوَةً أَوْ أَخَوَاتٍ أَوْ أَبًا أَوْ أُمًّا أَوِ امْرَأَةً أَوْ أَوْلاَدًا أَوْ حُقُولاً، لأَجْلِي وَلأَجْلِ الإِنْجِيلِ» (مر١٠: ٢٩ - حسب النص) يكون مُغبوطًا؛ وهو بذلك لا يُشير إلى الاستشهاد العادي، بل إلى الاستشهاد بحسب المعرفة، بالسلوك حسب منهج الإنجيل من أجل محبة الرب!}[3].

وهكذا يتضح لنا أنَّ الاستشهاد ليس مجرَّد شجاعة مُفرطة واستهانة بالموت، أو التقدُّم للسيف والتعذيب بلا خوف ولا وَجَل؛ ولكنه نعمة خاصة من الروح القدس لمَن كملوا في المحبة بحِفظ وصايا الرب وأنكروا ذواتهم وحملوا صليب جحدهم للذات، فانطبق عليهم قول الرب: «إِنْ أَرَادَ أَحَدٌ أَنْ يَأْتِيَ وَرَائِي فَلْيُنْكِرْ نَفْسَهُ وَيَحْمِلْ صَلِيبَهُ وَيَتْبَعْنِي، فَإِنَّ مَنْ أَرَادَ أَنْ يُخَلِّصَ نَفْسَهُ يُهْلِكُهَا، وَمَنْ يُهْلِكُ نَفْسَهُ مِنْ أَجْلِي يَجِدُهَا.» (مت١٦: ٢٤-٢٥). هؤلاء هم الذين ينطبق عليهم ما جاء في سِفْر الرؤيا: «وَهُمْ غَلَبُوهُ بِدَمِ الْخَرُوفِ وَبِكَلِمَةِ شَهَادَتِهِمْ، وَلَمْ يُحِبُّوا حَيَاتَهُمْ حَتَّى الْمَوْتِ.» (رؤ١٢: ١١).

✝ «إِنَّنَا مِنْ أَجْلِكَ نُمَاتُ كُلَّ النَّهَارِ. قَدْ حُسِبْنَا مِثْلَ غَنَمٍ لِلذَّبْحِ» (رو ٨: ٣٨):

هذه الآية قالها بولس الرسول واصفًا حياته اليومية التي يبذلها كل يوم باستعداد للموت حُبًّا في المسيح الذي حَسِبَ نفسه من أجله مثل غنم للذبح. وقد اقتبس هذه الآية من المزمور (٤٤: ٢٢)، إذ وجدها تُعبِّر عن حياته في المسيح أحسن تعبير. وقد كرَّر هذا التعبير مرتين في رسائله، حيث قال في (١كو١٥: ٣١): «إِنِّي بِافْتِخَارِكُمُ الَّذِي لِي فِي يَسُوعَ الْمَسِيحِ رَبِّنَا، أَمُوتُ كُلَّ يَوْمٍ». وكذلك في (٢كو٤: ١١): «لأَنَّنَا نَحْنُ الأَحْيَاءَ نُسَلَّمُ دَائِمًا لِلْمَوْتِ مِنْ أَجْلِ يَسُوعَ، لِكَيْ تَظْهَرَ حَيَاةُ يَسُوعَ أَيْضًا فِي جَسَدِنَا الْمَائِتِ».

ولقد طبَّق آباء الرهبنة الأوائل هذا المبدأ في حياتهم، وكان أولهم هو **القديس أنطونيوس أب الرهبان.**

ويقول عنه **القديس أثناسيوس الكبير** في كتابه «**حياة القديس أنطونيوس**»: {بعدما حلَّ بالكنيسة الاضطهاد الذي حدث أيام مكسيمينوس، وعندما اقتيد الشهداء القدِّيسون إلى الإسكندرية تبعهم (أنبا أنطونيوس) أيضًا، تاركًا صومعته، وقائلًا: «لنذهب نحن أيضًا حتى نجاهد إذا ما دُعينا لذلك، أو ننظر المجاهدين». وقد تاق إلى الاستشهاد، ولكنه إذ لم يشأ تسليم نفسه، خَدَم المعترفين في المناجم والسجون...

لأنه، كما قلتُ سابقًا، كان يُصلِّي أن يصير هو نفسه شهيدًا. ولذلك فقد كان يبدو عليه كأنه حزين لأنه لم يستشهد، ولكن الرب

كان يحفظه من أجل منفعتنا ومنفعة غيرنا، لكي يصير مُعلِّمًا للكثيرين عن النُّسك الذي تعلَّمه من الكُتُب المقدَّسة.

وعندما كَفَّ الاضطهاد أخيرًا، واستشهد المغبوط الأسقف بطرس (خاتم الشهداء)، انصرف (أنبا أنطونيوس) واعتزل ثانيةً في صومعته، وكان هناك كل يوم يستشهد بضميره، ويُجاهد جهاد الإيمان} (4).

وقد حَذَا الآباء الرهبان المُخْلِصون في رهبنتهم حذو القديس أنطونيوس، ومارسوا وصية «إنكار الذات» في حياتهم وعاشوها بجدِّيَّة وأمانة. فلقد عرفوا بالاختبار أنَّ الحرية والعلاقة الحميمة مع الله التي ينشدونها، يمكن إدراكها فقط عن طريق جَحْد الذات، وتَرْك الإرادة الشخصية.

ويرى **الأنبا بيمن** أنَّ إنكار الذات هو الطريق الوحيد إلى الوصول لله، فيقول: {إنَّ إرادة الإنسان هي سور من نحاس بينه وبين الله، وحَجَرَ عثرة أمامه. وعندما يُنكرها الإنسان، فإنه بذلك يقول لنفسه: «لأني بك (يا ربُّ) اقتحمتُ جيشًا، وبإلهي تسوَّرتُ أسوارًا» (مز١٨: ٢٩). وماذا يعني هذا عمليًّا لغالبية الرهبان؟ يعني: وَضْع أنفسهم تحت إرشاد شيخ مُحنَّك، وأن يتعلَّموا منه الطريق المُثلى للطاعة.

– ويروي **الأنبا يوسف الطيبي**، أنه من بين ثلاثة أعمال مُفضَّلة في عينَي الله، فإنَّ أكثرها تفضيلًا هو حينما يظل الراهب تحت إرشاد أب روحي في إنكارٍ تام لإرادته الذاتية.

– فإنكار الذات، من جهةٍ أخرى، تجعل صاحبها في مستوى الشهداء.

– ويُحكَى أن أربعة رهبان ذهبوا ذات يوم لملاقاة **الأنبا بموا**، وكَشَفَ كل واحد منهم فضيلة رفيقه. فكان واحد منهم صوَّامًا، وكان الآخر فقيرًا، وكان الثالث عظيما في مودَّته الأخويَّة للجميع. أما الرابع فكان يعيش منذ اثنتين وعشرين سنة تحت الطاعة لأحد الآباء الشيوخ.

– ولمَّا سمع **الأنبا بموا** ذلك، قال: «أقول لكم: إنَّ فضيلة هذا الأخير هي الأعظم. فكل واحد من الثلاثة الآخرين حصل على الفضيلة التي رغب فيها، أمَّا هذا الأخير فقد كَبَحَ إرادته الخاصة عاملًا إرادة أبيه، مثل هذا هو الذي صار مساويًا للشهداء»} (5).

(1) Homily 9 on Romans 5: 5 (PG 60,470).
(2) Against Heresies IV,33,89-; ANF, I, 508.
(3) Stromata IV,4; ANF, II, 411412-.
(4) Life of Antony, 4647-; NPNF, 2nd Ser., Vol. IV, p. 208209-.
(5) Douglas Burton-Christie, The Word in the Desert, 219.

لوقا الإنجيليّ البشير

ثاوفيلس: اسم يوناني معناه «صديق الله». أو «حبيب الله». وهو الشخص الذي كتب له لوقا إنجيله (لو١: ٣) ، وسفر الأعمال (١: ١). ويزعم البعض في ضوء معنى الاسم انه ليس اسم عَلَمْ، ولكنه مجرد لقب عام لا يعني شخصًا بعينه، وان لوقا استخدمه في توجيه كتابه لكل المسيحيين تحت هذا الوصف، لان كل مؤمن هو «صديق الله» و «حبيب الله». ويخاطبه لوقا في الإنجيل بلقب «أيها العزيز» (باليونانية Kratis) وهو لقب يعادل «صاحب المعالي» الذي يخاطب به كبار الولاة والحكام وأصحاب المناصب العليا، فقد استخدمه **الوالي ليسياس** في رسالته إلى «العزيز فيلكس الوالي» (أع ٢٣: ٢٦). واستخدمه الرسول بولس في مخاطبته «العزيز فستوس» خليفة فيلكس (أع ٢٦: ٢٥)، وهذا يدل على أن لوقا كتب إنجيله وسفر الأعمال لشخص بعينه، ويرجح انه كان مسؤولًا رومانيًا محترمًا، كتب له لوقا على التوالي قائلًا له : «لِتَعْرِفَ صِحَّةَ الْكَلاَمِ الَّذِي عُلِّمْتَ بِهِ.» (لو١: ٤). ويرد البعض بان لقب «العزيز» قد يخاطب به شخصًا صديقًا له تقديرًا لمودته له دون أن يدل ذلك على انه يشغل مركزًا رسميًا. والأغلب أن ثاوفيلس لم يكن قد صار مسيحيًا بعد، لأنه لا يوجد في الكتابات المسيحية من القرنين الثاني والثالث بعد الميلاد استخدام مثل هذه الألقاب في مخاطبة المسيحيين بعضهم لبعض، وبالأولى بمثل هذا اللقب الرفيع. ولكنا لا نجد لوقا يستخدم هذا اللقب في مخاطبته ثاوفيلس في سفر الأعمال (١: ١)، وذلك أما لان صداقتهما كانت قد ازدادت عمقًا أو لان ثاوفيلس كان قد اصبح مسيحيًا، فلم يعد هناك ما يدعو لاستخدام هذا اللقب، بل لعله كان قد فقد مركزه لاعتناقه المسيحية.

وقد ورد اسم «ثاوفيلس» – كاسم عَلَمْ – كثيرًا في البَرْدِيَّات منذ القرن الثالث وكذلك في النقوش أيضًا. بل جاء اسمًا لشخص يهودي في برديات فلندرز بيتري من القرن الثالث أيضًا.

ويقول **يوسابيوس وجيروم** انه كان سوريًا من إنطاكية، وقد جاء في إقرارات **اكلمندس** ذكر لشخص باسم **ثاوفيلس** كان يشغل مركزًا هامًا في إنطاكية، وقد يكون هو **ثاوفيلس** الذي كتب له لوقا.

وقد جاء في «كتاب أعمال بولس» الابوكريفي أن ثاوفيلس كان شيخًا في كنيسة كورنثوس، وانه هو الذي كتب للرسول بولس لاستيضاح بعض الأمور، التي أجاب عليها الرسول في رسالته المعروفة بالرسالة الأولى لكنيسة كورنثوس. كما جاء في « أعمال الرسول يعقوب» الابوكريفية، اسم ثاوفيلس لأحد الولاة الذين آمنوا على يد الرسول يعقوب وهو في طريقه إلى الهند. ولكن هذه كلها وغيرها من محاولات لتحديد شخصية ثاوفيلس، لا يقوم عليها دليل تاريخي.

البذار الذي وقع على الطريق

راهبات دير القديس يعقوب الفارسي المقطع، دده – الكورة

«خَرَجَ الزَّارِعُ لِيَزْرَعَ زَرْعَهُ. وَفِيمَا هُوَ يَزْرَعُ سَقَطَ بَعْضٌ عَلَى الطَّرِيقِ، فَانْدَاسَ وَأَكَلَتْهُ طُيُورُ السَّمَاءِ. وسقط آخر على الصخر، فلمّا نبت جفّ لأنّه لم تكن له رطوبة. وَسَقَطَ آخَرُ فِي وَسْطِ الشَّوْكِ، فَنَبَتَ مَعَهُ الشَّوْكُ وَخَنَقَهُ. وَسَقَطَ آخَرُ فِي الأَرْضِ الصَّالِحَةِ، فَلَمَّا نَبَتَ صَنَعَ ثَمَرًا مِئَةَ ضِعْفٍ» (لو ٨: ٥–٨).

هذا المثل هو صورة لكلمة الله التي تقع في نفوس متباينة من البشر. فالمزارع هو الابن المتجسّد، والحقول هي نفوسنا نحن. لقد أعطى الربّ يسوع وصفًا دقيقًا لحال البذار الذي وقع على الصخر وفي الشوك وفي الحقل الجيّد، هذا الوصف الذي ينطبق تمامًا على كيفيّة تَقَبُّلِنَا لكلمة الله المُعلَنة لنا.

وَرُبَّ سائلٍ يسأل لماذا ألقى الربّ البذار في الأمكنة التي لا يُلقي فيه المزارع عادة بذاره، إذ لا أحد يزرع في الأرض التي تدوسها الأرجل أو على الصخر أو في الشوك، فالكلّ يزرعون في الأرض الصالحة؟ يريد الربّ أن يرينا أنّ كلّ البشر، من دون استثناء، قد وُهبوا القدرة على أن يكونوا أرضًا جيّدة صالحة، ولكنّ هذا الأمر وقفٌ على مقدار تجاوبهم مع كلمة الله، فهم أصحاب القرار في أن يكونوا إمّا أرضًا خصبة أو مجدبة، أو أرضًا تطؤها الأقدام، أو صخرة قاسية صلبة أو شوكًا يُدمي يَدَيْ من يدنو منه. لا شكّ أنّ الربّ الإله يريد أن يرى كلّ واحد منّا حقلًا صالحًا وتربة جيّدة، ولذلك يُلقي البذار للجميع حتّى للذين يبدون أنّهم غير أهل لذلك، أو أولئك الذين يبدون ظاهريًّا أنّهم تربة خصبة، ولكنّهم في الواقع ليسوا كذلك على رجاء أن يتغيّروا ويصبحوا الأرض التي يُنْتَظَرُ ثمرها اليانع.

وكلامنا هنا على البذار الذي وقع على الطريق وانداس من الناس وأكلته طيور السماء. فمن هم الذين يشبهون الأرض التي وطئتها الأقدام؟ إنّهم أولئك الذين يضيّعون الحياة الروحيّة في الطرقات والأماكن العامّة حيث يتسلّى الناس ويتلهّون.

«وانداس»: كما يطأ الناس بأرجلهم كلّ ما يصادفونه في طريقهم من قاذورات وغيرها، هكذا يدوسون البذار الإلهيّ، ويخنقون الكلمة الموجّهة إليهم ولا يحفظونها لحبّهم مظاهر الدهر الحاضر الجوفاء والمجد الفارغ. وليس هذا فقط، بل يخنقونه، أيضًا، بتهاونهم وتراخيهم وتحقيق رغباتهم وشهواتهم، والخضوع لأهوائهم التي تتحرّك نحو **الطمع والحسد والحقد وكلّ الميول السيّئة** التي لا تدع البذار يتجذّر ويصبح شجرة مثمرة. ولهذا، فهم يعانون، أبدًا، من القلق والانزعاج والهمّ، لأنّهم قد حرموا أنفسهم بأنفسهم من هذه الدُرّة الروحيّة كالخنازير التي تدوسها بأرجلها (متّى ٧: ٦)، وقَتَلوا كلمة الله في داخلهم متذرّعين بكلمة **التحضّر أو المدنيّة ومسايرة التطور والعصر**.

«وتأكلهم طيور السماء»: من هم طيور السماء؟ **إنّهم شياطين المديح والكبرياء والمجد الباطل.** هؤلاء يلتقطون البذار كما تفعل عصافير السماء التي تلملم الحَبّ لتغتذي به. ولكن كيف يخطف الشياطين البذار؟ عندما يرى الناس فضيلة أحد المجاهدين، يمطرونه بأقوال المديح المعسولة، وأمّا إن كان هذا الإنسان لا يزال مبتدئًا في الحياة الروحيّة، وحتّى لو كان قد سار شوطًا لا بأس به، يقبل المديح وتنتفخ ذاته وتكبر. وقبل أن تتجذّر كلمة الله جيّدًا داخل تربة نفسه تنبت الكبرياء ويتملّكه المجد الباطل. وفيما هو مترنّح سكران لا يدرك إلى أين يسير، ظانًّا بأنّه يحفظ وصايا الربّ ويطبّق مشيئته فيما يكون، بالحقيقة، سائرًا نحو حتفه، متخدّرًا نشوانَ بالتمليقات، وحاصدًا، فقط، المجد الباطل المُهْلِكُ. وهكذا يمسي المديح العلّة التي تفتح الطريق للشيطان لكي يعرّينا من فضيلتنا، ويتركنا أرضًا تدوسها الأقدام أمام الله.

كيف يستطيع المرء أن يتجنّب هذا الخطر وينجو منه؟ طبعًا من نافل القول إنّه باليقظة وحفظ وصايا السيّد يحصّن المرء نفسه ضدّ هذا الخطر. وهنا لا بدّ لنا من الإشارة إلى أنّ الحياة الروحيّة يجب أن تعاش في الخفاء أمام الله، فقط، وليس أمام أعين البشر. فكلمات الثناء التي يسمعها الإنسان، مهما كان يقظًا حريصًا، تدغدغ مشاعره بتعزية بشريّة سرعان ما تضمحلّ كالدخان، لذا يجب أن يعي المجاهد أنّ هذا الثناء ما هو إلاّ فخّ ينصبه الشيطان ليستغلّ ربحه

لحسابه. وهنا يلعب الصبر الدور الأساس في حفظ المرء لنفسه، وضمان تقدّمه سيّما وأنّ اتّباع الطريق الروحي وحفظ شريعة المسيح يخلو من التعزيات البشريّة، ويعتمد كلّيًا على التعزيات العلويّة. لذا ما إن يرى الربّ الحنون صبر المجاهد، حتّى يبادر إلى تعزيته بنفسه، وعندها لن يحتاج المرء إلى التعزيات الدنيويّة قطّ، ولا إلى الإطراء والمديح، لأنّ مدحه يأتي من الربّ، وعندها يكون البذار قد وقع في الأرض الجيّدة ليثمر بالصبر. فعندما يشعر المرء أنّه بحاجة إلى تعزية بشريّة، هذا يعني أنّه قد ابتعد عن الدرب الصحيح، لذا عليه ترداد الصلوات، بصبر، حتّى يسبغ الربّ عليه، من جديد، تعزياته ونعمه.

ولا بأس هنا أن نسرد هذا المثل الواقعيّ: طلب أحد رهبان **الأب دانيال الكاتوناكي**(١) أن ينسك في مغارة قرب **دير القدّيس بندلايمون الروسيّ**. فأخذ هذا الراهب يصوم كثيرًا، ويرتدي ثيابًا مهلهلة، ويسير حافي القدمين حتّى في أيّام الشتاء الباردة، ويقوم بضرب آلاف المطّانيّات في اليوم الواحد. وكان يوجد على باب منسكه فتحة صغيرة تسمح لكلّ المارّين من هناك أن يروه كيف يصلّي ويركع ويرتّل... فكانوا يردّدون بإكبار وإعجاب قائلين على مسمع من هذا الراهب المسكين: «هذا بالحقيقة راهب حقيقيّ وناسك مجاهد بطل». عرف الأب دانيال بهذا، واستطاع أن يميّز بما له من الموهبة الأهليّة أنّ كلّ هذا الجهاد ليس بحسب قلب الله ورضاه، وأنّ كلّ هذه القوّة التي يتمتّع بها ليست من المعونة الإلهيّة، بل هي نتيجة لمديح الناس وتملقهم له، هذا المديح الذي جعله يحسّ بأنّه مجاهد عظيم. وبدل أن يقبل الزرع الإلهيّ بتواضع، وينمّيه في داخله، خضع للأثرة وحبّ الأنا، وهكذا استولى الشيطان، الشبيه بطيور السماء، على ثمر أتعابه، وتركه عاريًا كالأرض المداسة الخالية من الثمر.

قصد الأب دانيال الناسك، وبدأ النقاش معه حول الحياة الروحيّة، وماهيّة الشِّباك التي يغزلها الشيطان للنُسّاك، ومدى خطرها وسوء عاقبتها، وكيف أنّ المجاهد الحقيقيّ لا يُقدم على أيّ جهاد من دون مشورة أبيه وبركته. وعندها انزاح الستار عن عينيّ الناسك، فكشف لأبيه ما يسمعه من أقاويل الناس وإعجابهم. فحذّره الأب من الاستكانة لحبّ الظهور والكبرياء التي تتلف كلّ عمل الراهب، وحدّد له كمّية الصلوات التي يجب أن يتلوها مع خمسين مطّانيّة فقط. فظهر، حينئذ، ضعف الناسك وعريه من كلّ فضيلة، وهمد حماسه إذ بدأ يصلّي صلواته بشقّ النفس، ويقوم بضرب الخمسين مطّانيّة بصعوبة بالغة، كما مال إلى ارتداء الثياب الجيّدة والجديدة، وعاد لا يكفيه ما يقدّمونه له من طعام لا بل كان يأكل قبل موعده. وهكذا قُصّت جناحا العُجْب ومديح الناس اللذان كان يطير بهما في سماء الكبرياء. وصار يلزمه الكثير من الصبر لتكملة مشوار حياته الروحيّة، منتظرًا في كلّ دقيقة تعزية الربّ له، هذه التعزية التي تترافق وثمر التواضع، والتي لا يستطيع إبليس أن يبعدها عن النفس كونه عدوّ التواضع.

أعزّاءنا القرّاء، في أيّامنا هذه لا يوجد مكان عامّ واحد للّقاء، فالناس تتلاقى وتتجمّع في كلّ مكان، في الأسواق وفي الطرقات، وذلك قصد التسلية وتمضية الوقت فقط، غير مدركين أنّهم بهذا يهدرون وقتًا كان يجب أن يكون أقلّه مع الله. وبلغة أخرى تأتي طيور السماء (أي الشياطين) وتسرق غلّاتهم.

يستطيع المرء، اليوم، وهو في منزله أو في عمله وأثناء مشغوليّاته أن يُؤَمِّن كلّ حاجيّاته ومشترياته، ويتمّم كلّ أعماله، من دون أن يحتاج إلى معونة إنسان آخر، أو حتّى ليتعامل معه، وذلك بواسطة الأنترنت. ونرى، في الوقت نفسه، على شاشة التلفزيون أناسًا يتكلّمون علانية عن مشاكلهم وعن رذائلهم وأهوائهم وحتّى عن حياتهم الخاصّة جدًّا. فالحياة العامّة والخاصّة أصبحت واحدة تقريبًا. ونلاحظ أنّ البشر يتنازلون، وبسهولة، عن حرمة حياتهم الشخصيّة أمام الاكتشافات العصريّة الكبيرة، وأمام الحاجة إلى المديح والشهرة ولو لدقائق معدودة، غير مدركين بأنّ شبكة المجد الباطل التي حاكها إبليس بمنتهى البراعة قد اصطادتهم. كلّ هذا يؤكّد بأنّ إنسان هذا العصر أصبح لا يرتاح أن يكون هو نفسه دائمًا، بل يحتاج، وبسبب الفراغ، إلى تبديل أوضاعه وأحواله بين الفينة والأخرى، ولا يقدر، أيضًا، أن تكون له الحاجات والرغبات ذاتها دائمًا، ولذا أصبح، بالمقابل، لا يعرف الهناء والسلام، بل يطغي الفراغ الداخلي طيّات نفسه، وإنّما هذه نتيجة طبيعيّة يلاقيها مَنْ خنق البذار الإلهي، وجعل داخله ساحة مكشوفة لطيور السماء (**حبّ المجد والظهور والكبرياء**) تغطّ فيها وتأكل البذار.

وأمّا الربّ يسوع، فإنّه لا يملّ من رَمْيِ بذاره، بيد مبسوطة، في نفوسنا جميعًا في أيّة حالة كنّا فيها على أمل أن نثمر له يومًا الثمر الشهيّ الذي ينتظره من كلّ واحد، إن كان ثلاثين أو ستّين أو مائة. ولكن، لنتذكّر أنّه لكي نعطي هذا الثمر، تلزمنا اليقظة والسهر، لئلّا تأتي طيور السماء، وتلتقط ثمار جهادنا ونحن غافلون متراخون.

(١) وهو أحد كبار آباء الجبل المقدّس

سجَّس

سجَّس الماء، كدَّره، وسجَّس القوم أوقع فيهم السجس أي الشغب. ونقرأ أن الرجال الذين أرسلهم موسى ليتجسسوا الأرض ، رجعوا «وسجسوا عليه كل الجماعة بإشاعة المذمة على الأرض» (عدد ١٤ : ٣٦) أي أثاروا عليه كل الجماعة وأحدثوا الشغب فيها.

كما أن اليهود غير المؤمنين فى تسالونيكي ، «اتخذوا رجالًا أشرارًا من أهل السوق وتجمعوا وسجسوا المدينة» (أع١٧ : ٥) أي أثاروا الشعب وأحدثوا فيهم الشغب والقلاقل.

الاعتراف والكفارات في الكنيسة الأرثوذكسية

الميتروبوليت إيروثيوس فلاخوس
(عن كتاب الفكر الكنسي الأرثوذكسي)

نعرف أن القوانين المقدسة تفرض كفارات مختلفة على ارتكاب الخطايا. إنها في الدرجة الأولى، موضوعة على الأشخاص الذين يعترفون كما في حالات ضرورية أخرى. ولكن يمكن وضع الكفارات بروح حرفية، وهذا يشوهها بشكل جوهري. بكلمات أخرى، إنْ وضعنا الكفارات في ضوء لاهوتي خاطىء كاسترضاء الله، نرتكب خطأ. ليس لما يسمى الكفارات هذا المعنى في التقليد الأرثوذكسي، إذ أنها تُفسّر طِبِيًّا وليس قانونيًا.

من أجل رؤية النظرة اللاهوتية الأرثوذكسية لهذا الموضوع، يجب أن نذكر أن الكفارات مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بلاهوت الكنيسة حول الخطيئة والمناولة الإلهية. بما أن الخطيئة في التقليد الأرثوذكسي ليست إساءة إلى الله إنما هي **مرض**، فنحن نستطيع تلقائيًا أن نرى الكفارات لا كعقوبات للإنسان أو وسائل لاسترضاء الله، إنما كدواء لشفائنا. والإفخارستيا لا تُقام لأسباب عاطفية أو لتحسين أخلاقي، إنما **لتأليه الإنسان**. المناولة الإلهية من القدسات تعمل بطريقة مناسبة للحالة الروحية. إذا كان الإنسان في حالة التطهر، فهذا يساعده على بلوغ الاستنارة، وإذا كان في حالة استنارة النوس يصبح الله نورًا له من خلال المناولة، وإذا كان في حالة **التألُّه** فيصبح الله عنده تألهًا ونورًا. إذًا إن لم يكن الإنسان قد دخل بعد مرحلة التطهر، وإن كان لا يعيش حالة التوبة، فالمناولة الإلهية تصبح نارًا ودينونة. هذا يظهر في كل الصلوات الليتورجية التي فيها نسأل الله أن تكون المناولة من القدسات «لا لمحاكمة ولا لدينونة». تمامًا كما أن منع الطبيب لبعض المأكولات عن جسدنا لا يعني عقوبة إنما يفترض مرض الإنسان ويهدف إلى شفائه، الشيء نفسه ينطبق على الكفارات.

مثل الكثير من القوانين المقدسة، يقسّم **باسيليوس الكبير** الخطأة والتائبين إلى مراحل عديدة، هي الباكون، المستمعون، المتوسلون، المصالَحون، المشتركون في القدسات. هذا تقسيم من منظار شفاء الإنسان وليس من وجهة نظر التبرير القانوني واسترضاء الله. هكذا، عندما يكون الإنسان في حالة التوبة يكون للمناولة الإلهية تأثير علاجي وإلهي، لا تأثير عقابي، وتُسمَح له المناولة. وعليه، فالتائب والمعرِّف معًا يجب أن يرَيا الكفارات والحرمان من المناولة ضمن هذا المنظار العلاجي والمحب. وإلّا فالقوانين المقدسة تتشوّه تمامًا، كما يتشوّه ناموس الله بصورة مماثلة.

مَنْ يَأْكُلْ جَسَدِي وَيَشْرَبْ دَمِي يَثْبُتْ فِيَّ وَأَنَا فِيهِ.

هناك مقاطع آبائية كثيرة يظهر فيها المعنى والقيمة العلاجية للمنع من المناولة. وبالإشارة إلى الخطايا التي يرتكبها الإنسان وطريقة التوبة وزمنها، يقول **باسيليوس الكبير** بحكمة أننا في النهاية « نكتب كل هذه الأمور لكي تُمْتَحَنَ ثمارُ التوبة. لأننا، في أي حال، لا نحكم على مثل هذه الأمور بالوقت، بل نهتم بطريقة التوبة». وإشارة إلى الخطايا المختلفة، يقول **مجمع قيصرية الجديدة**: «طريقة عيشهم وإيمانهم يقصران المدة». بحسب قول مميز **للقديس غريغوريوس النيصصي**: «إن شخصًا قد شفي ومُنع من المناولة هو، بالنسبة إلى المعرّف، تمامًا مثل شخص لم يتب ولم يشفَ وتمت مناولته». **القديس غريغوريوس النيصصي** يكتب بحكمة: «إذ تمامًا كما أن طرح الدرر أمام الخنازير غير مناسب، كذلك هو منع الجوهرة الثمينة عن شخص أصبح رجلًا عن طريق اللاهوى والطهارة».

المثال الذي حفظته لنا أقوال الآباء الشيوخ من حياة وتعاليم **الأنبا بيمن** مميز: «اعترف أخ للأب بيمن قائلًا: لقد ارتكبت خطيئة كبيرة وأريد أن أتوب عنها ثلاث سنوات. قال له الشيخ: إن هذه مدة طويلة. أجابه الأخ: إذًا، لسنة واحدة فقط؟ قال: وهذا كثير أيضًا. فقال الحاضرون: وهل يكتفي بأربعين يومًا؟ قال: وهذا كثير أيضًا. وقال: أقول لكم، إنه إذا تاب الإنسان من كل قلبه وتوقف عن الخطيئة، فإن الله يقبله حتى في ثلاثة أيام». يظهر هذا المثل أن الحرمان من المناولة أو ما يسمى الكفارة، هو دواء علاجي يجب إدراجه في تدريب الكنيسة العلاجي.

لإتمام الموضوع، يمكننا أن نجمع أن الروح القانوني، أي النظر إلى ظاهر الناموس وحفظ بعض الترتيبات الشكلية الخارجية وإبعادها عن الجو النسكي والعلاجي للكنيسة وربطها بإجراء قضائي، **هو مبدأ غربي، وبالتالي لا ينتمي إلى الفكر الأرثوذكسي**. يجب أن نهمل كل مفهوم قانوني وكل محاولة لاسترضاء العدالة الإلهية. فلنفهم الخطيئة أولًا كمرض في طبيعتنا، ولنحدد المرض بظلام النوس، وفي الوقت نفسه نحفظ الناموس لكي نُشفى، إلى أن نصل إلى التألُّه الذي هو أعمق هدف لخلق الإنسان ووجوده.

ذكر الله من خلال صلاة يسوع
عند القديس ذياذوخوس أسقف فوتيكي

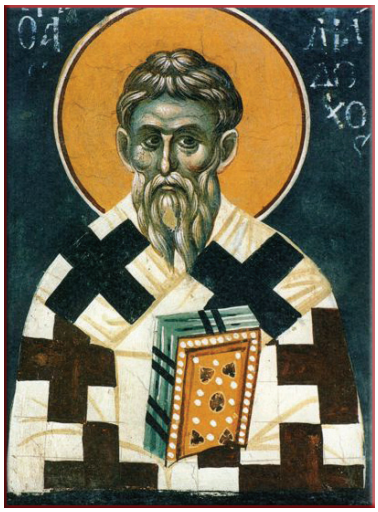

القديس ذياذوخوس أسقف فوتيكي هو من رواد صلاة اسم الرب يسوع. وقد اكتسب شعبية كبيرة في عالم روحانية الصحراء البيزنطي. في كتابه «مئة مقالة في المعرفة الروحية» ينصح بتطهير القلب وبذكر اسم يسوع، وليس الله فقط. وهو الكاتب الأول الذي يشير إلى ذكر اسم يسوع دون أن يقترح شكلًا محددًا لهذه الصلاة. فهو يُشَدِّدُ على ذكر الله ذكرًا داخليًا مستديمًا. فالذكر المدعوم بالصمت يحفظ حرارة النفس وتجمّعَها وخشوعها، ويأتي بالقلب إلى التوجع والوداعة. إن الذكر (ذكر الله والخير والمحبة الروحية، ذكر الذهن والقلب) يرد مرارًا وتكرارًا عند **ذياذوخوس**. وذكر الله بحرارة ينبع الشوق إلى الله من أعماق القلب. وَيُحَدِّدُ ذكر الله بذكر الرب يسوع أو اسم يسوع وهو السلاح الأكبر ضد أوهام الشياطين ووسيلة البلوغ إلى رؤية النفس ورؤية النعمة في النفس. كما يلاحظ **ذياذوخوس** اقتران كلمة صلاة بكلمة انتباه أو يقظة ولهذا السبب ينقاد مفسرو كتاباته وكتابات غيره من الهدوئيين إلى إيراد كلمة انتباه مكان كلمة صلاة استنادًا إلى بعض المخطوطات، خاصةً أن الكلمتين متقاربتان جدًا في اليونانية. وهو يعلّم كثيرًا عن ذكر الله إذ هو يحمي من الميل إلى الشر: «ينبغي أن نعرض دائمًا عن الميل الذي فينا إلى الشر بدأبنا على ذكر الله»، «حواء... حين... استسلمت للهوى... أشركت آدم في خطيئتها... إذ لا يمكن للذهن البشري في حالة كهذه أن يذكر الله ووصاياه إلّا بصعوبة. أمّا نحن فلنشخصنّ بنظرنا دائمًا إلى أعماق قلوبنا ذاكرين الله ذِكْرًا لا ينقطع...» إضافةً إلى أن هذا الذكر هو مصدر المعرفة التي لا تخطئ: «نعرف دون خطأ، الحالة التي تلازم الحديث الإلهي إذا كنّا في الأوقات التي لا نتكلم فيها ننصرف، في صمت خالٍ من أي اهتمام آخر، إلى ذكر الله ذكرًا حارًا». وهو مصدر التعزية الحقيقية: «تحصل التعزية الصالحة حين يكون الجسد ساهرًا، أو حتى عندما تبدأ فتظهر عليه علامات نعاس قريب فيما نحن ملتصقون بحب الله في ذكر له حار. أمّا التعزية الوهمية فهي على العكس من ذلك تحصل دائمًا حين يكون المجاهد قد دخل في سبات خفيف وهو يذكر الله بفتور. فمن عادة التعزية الأولى ما دامت صادرة عن الله، أن تدعو جَلِيًا نفوس أبطال التقوى إلى حبه في انسكاب للنفس الكبيرة. أمّا التعزية الأخرى التي اعتادت أن تهيّج النفس ريح مضلّة فتحاول استغلال نوم الجسد لتسلب الذهن خبرة حسه المحتفظ بذكر الله تامًا. فإذا ما صادفت هذه التجربة الذهن متحدًا بذكر الرب يسوع بانتباه ويقظة كما سبق القول فهو يبدّد ريح العدو الزائفة العذوبة ويبادر بفرح إلى محاربته متسلحًا إلى جانب سلاح النعمة الأول بفخر خبرته.» ويضيف أنّ بدون ذكر الله لا يستطيع الذهن أن يتبيّن زلاته: «قليلون جدًا هم الذين يتبيّنون بدقة كل زلاتهم. فإن هذا فقط شأن الذين لا يتيحون لذهنهم الاقلاع أبدًا عن ذكر الله». «سوف نفلت من شعور الفتور والجبن إن حصرنا فكرنا في حدود ضيقة ووجهّنا نظرنا إلى ذكر الله وحده. هكذا فقط يعود الذهن سريعًا إلى حرارته ويمكنه التحرر من هذا التشتت الغاشم.» ويستفيض في تشديده على أن يكون ذكر الله الشغل الشاغل للإنسان حتى لا يتراخى ويفقد حبه للفضيلة: «مَن يتوخى تنقية قلبه فَلْيُلْهِبْهُ دائمًا بذكر الرب يسوع جاعلًا من هذا الذكر وحده دراسته وممارسته الدَّائِمَيْنِ... كذلك مَن لا يذكر الله إلّا من وقت إلى آخر يفقد بتراخيه ما يظن أنه قد اكتسبه بالصلاة... إن خاصة الإنسان المحب للفضيلة هي أن يحرق دائمًا بذكر الله ما هو أرضي في قلبه حتى يبيد الشر شيئًا فشيئًا بنار ذكر الصلاح، وتعود النفس تمامًا إلى ضيائها الطبيعي بمزيد من البهاء».

وقد يقترن هذا الذكر بأمور أخرى تثبته كالتفكير بالموت: «لأن ذكر انحلال الجسد يستطيع لوحده ضبط نوع الأرواح الشريرة (اللطيفة منها والمادية) عن طريق ذكر الله». ويرى أنّ الذكر يؤدي إلى الفرح إذ تكون النفس قد تنقّت: «بعد أن يكون التبكيت الإلهي قد محّصها تمحيص الأتون تكتسب النفس في ذكر حار لله قوة فرح خالٍ من التصورات.» هذا ويؤكد أنّ الذكر يكون باستدعاء اسم يسوع من خلال الصلاة المعروفة باسمه: «عندما نُغلق على الذهن كلّ مخارجه بذكر الله يتطلب منا قطعًا عملًا يرضي حاجته إلى العمل. فيقتضي إذًا إعطاؤه «الرب يسوع» عملًا وحيدًا يلبّي غايته بصورة كاملة... لكن عليه ألّا يتأمّل على الدوام في كنوزه الداخلية سوى هذه العبارة فقط دون غيرها فلا يحيد عنها إطلاقًا إلى أي تصوّر كان. فإن جميع الذين يتأملون في أعماق قلوبهم بهذا الاسم الجليل الأقدس وبدون انقطاع، هؤلاء يستطيعون يومًا مشاهدة نور ذهنهم عينه أيضًا. لأنه إذا أُبقي اسم يسوع بالذكر في أعماق القلب باهتمام شديد فهو يحرق، في شعور حاد، كل الدنس الذي يغشى سطح النفس... بعد ذلك يدعو الرب النفس إلى محبة مجده محبةً عظيمة لأن ذلك الاسم الجليل والمشوق إليه جدًا، إذا ما ثبت بواسطة ذاكرة الذهن في حرارة القلب، يرسّخ فينا عادة محبة صلاحه دون أن

يعارضها شيء فيما بعد.» ولكن استدعاء اسم يسوع وصلاته بحاجة إلى تحرر من الأهواء: «عندما تكون النفس مضطربة بالغضب أو مشوشة بالسُّكْرِ أو مثقلة باليأس، لا يقدر الذهن، مهما عنف، أن يضبط ذكر الرب يسوع... أمّا إذا كانت ذاكرة الذهن بالعكس حرة من الأهواء... فإن الذهن يعود سريعًا إلى عمله ويستولي بحرارة على تلك الغنيمة الخلاصية المشتهاة. لأن النفس حينذاك تضبط النعمة نفسها التي تتأمل معها وتصرخ صلاة الرب يسوع». وفي النهاية يتطرق **ذياذوخوس** إلى كيفية ممارسة صلاة يسوع مشددًا على عدم الإكثار من الكلمات غير التي في صلاة يسوع: «إذا ما استسلمت النفس إلى رغبتها في كثرة الكلام، حتى وإن كان كل ما تقوله حسنًا، فإنها تبدد ذكرها لله من باب الكلام». وبغض النظر عن كون هذه الصلاة بصوت عالٍ أو سِرِّيَّةٍ ينبغي أن يشترك القلب فيها وأن تنتهي بصمت الصوت الذي يعطي حرارة للقلب: «حين تكون النفس راتعة في وفرة ثمارها الطبيعية ترفع ترتيلها عاليًا وتبتغي المزيد من الصلاة الصوتية. أمّا إذا كان الروح القدس يفعل فيها فإنها ترتل وتصلّي في سر القلب بكثير من التسليم والعذوبة. الحالة الأولى يرافقها فرح سريع التخيل، أمّا الثانية فترافقها دموع داخلية روحية مع نشوة توّاقة إلى الصمت. لأن ذكر الله الذي يحفظ حرارتها عن طريق سكوت الصوت يعدّ القلب لأن يطفح بخواطر توجّع ووداعة».

كل الاقتباسات في هذا النص من كتاب «مائة مقالة في المعرفة الروحية للقديس ذياذوخوس أسقف فوتيكي» تعريب رهبنة دير الحرف. بيروت: منشورات التراث الآبائي. ١٩٩٢.

من أقوال وسِيَر الآباء القديسين

الفرق بين رهبنة القدماء ورهبنة زماننا

الشياطين لا تَقْوَى على البشر:

✝ تنهدتُ وقلتُ: «ويلك يا أنطونيوس، إنَّ كلَّ هذا العون محيطٌ بالرهبان، والشياطين تَقْوَى عليهم»!

فجاءني صوتُ الربِّ قائلًا: «إنَّ الشياطينَ لا تَقْوَى على أحدٍ، لأني من حين تجسَّدتُ، سحقتُ قوَّتهم عن البشريين، ولكن كلَّ إنسانٍ يميلُ إلى الشهوات، ويتوانى بخلاصه، فشهوتُه هي التي تصرعه وتجعله يقع».

فصحتُ وقلتُ: «طوبى لجنس الناس وبخاصةٍ الرهبان، لأن لنا سيدًا هكذا رحومًا ومُحبًّا للبشر».

الفرق بين رهبنة القدماء ورهبنة زماننا هذا:

✝ سُئل شيخٌ: «بماذا تُشبِّه رهبنةَ القدماء، ورهبنةَ زماننا هذا»؟

فأجاب قائلًا: «كان إنسانٌ غنيًّا وحكيمًا، وكان يطلبُ المِسكَ الخالص، فلما لم يجد المسكَ الحقيقي الذي يُريده، قطع المسافات برًّا وبحرًا حتى وصل إلى الصين، حيث قدَّم هدايا للملك الذي هناك، وسأله أن يُعطيه مِسكًا، وطلب إليه أن يقطعَه هو بيده. فلما أخذ المسكَ ورجع، أعطاه لأولاده، وأولادُه بدورهم أعطوه بعضُهم لبعضٍ، وقليلًا قليلًا غشُّوه وخلطوه بما يُشبه المسكَ الحقيقي في اللون، ويختلف عنه في الرائحة، ومع تمادي الزمن بَقِيَ الزَّغَلُ (أي المغشوش) موضعَ المسك الحقيقي، وعدمت رائحته، وبَقِيَ الشكلُ والاسمُ فقط».

الصمت والكلام:

✝ من أقوال مار أفرآم:

– يا أخي تفكَّر بأنَّ ربواتِ الأقوال نهايتها السكوت.

– محبُّ السكوت لا يتألَّم بشيءٍ من أمور الدنيا.

– أيها الحبيب، اتَّخِذ الصمتَ، فإنه يُريحك من أدناسٍ كثيرة.

– بحكمةٍ، اقطع الأحاديثَ الضارة، ليكون الإنسانُ الباطن حسنًا.

– من يُكثر أقواله، يُكثر لنفسه الخصومات والبغضاء.

– ومن يحفظ فمَه يُحَبُّ.

– إنْ أحببتَ الصمتَ، فإن سفينةَ حياتك ستُكمِل مسيرَها بسكوتٍ.

✝ سُئل الأنبا بيمن: «أيهما أَصلحُ: الكلام أم الصمت»؟

فقال: «إن الصمتَ من أجل الله جيدٌ، كما أن الكلامَ من أجل الله جيدٌ كذلك».

كيف علَّم أب أولاده النشاط في العمل.

✝ قال شيخٌ: «أراد إنسانٌ موسِر أن يُعلِّم أولاده النشاطَ، فقال لهم: "هل تعلمون كيف صرتُ غنيًّا؟ إن سمعتم مشورتي استغنيتم مثلي"».

فسألوه عنها، فقال لهم: «في كلِّ سنةٍ يوجد يومٌ من أيامها، كلُّ مَن عمل فيه باجتهادٍ استغنى. إلاَّ أني لشيخوختي قد نسيتُ أيَّ يومٍ هو! فلا تتوانوا أنتم في العمل كلَّ يومٍ، لئلا يفوتَكم العمل في ذلك اليوم المُبارك، فيضيع تعبُكم في السنة كلِّها».

ثم قال الشيخُ: «هكذا نحن أيضًا لسنا نعرفُ يومَ وفاتنا، فإن توانينا حين وفاتنا، فاتنا مقصدُنا وضاع كلُّ تعبنا، وإنِ اجتهدنا إلى الآخر وجدنا ملكوت السموات».

كيف تختار أب اعترافك؟

✝ قال القديس إشعياء الإسقيطي:

– «لا تنظر إلى كِبَرِ السِّنِّ، بل اعتمِد على مَن له علمٌ وعملٌ وتجربةٌ ومعرفةٌ روحانية، لئلا يَزيدك سَقَمًا بدلًا من أن يَهَبك شفاءً».

✝ قال الأب يوسف التبايسي:

– «يوجد ثلاثةُ أمورٍ كريمة أمام الله:

أولها، أن يؤدِّي الإنسانُ عملَه خالصًا لوجه الله، ولا يُرائي فيه بشريًا.

أما ثانيها، فهو أن يكون الإنسانُ في مرضه، وحين تتواتر المحن عليه، راضيًا شاكرًا.

وثالثها، فهو وجود الإنسان مُداومًا على طاعة أب روحاني، عاملًا بحسب مشورته».

(عن كتاب: «بستان الرهبان»)

دستور الإيمان – ٢

القديس نكتاريوس أسقف المدن الخمس

٢٢) بماذا نعترف من خلال التسمية الأخرى: «ابن الله»؟

من خلال هذه التسمية نعترف بأن الربّ يسوع المسيح هو ابن الله الآب، الذي لا بداءة له، وأنه هو كلمة الله الذي يفيض من الطبيعة الإلهية، والشخص الثاني من الثالوث، وبهاء مجد الآب.

٢٣) بماذا نعترف بكلمة «المولود»؟

بهذه الكلمة نحن نعترف بأن هناك ابنًا واحدًا وهو كلمة الله، وأنّه كان في حضن الآب، وقد وُلِد منه قبل الدهور.

٢٤) ماذا يقول الكتاب المقدس؟

إنجيل يوحنا يدعو يسوع المسيح بالابن المولود ويقول : «وَرَأَيْنَا مَجْدَهُ، مَجْدًا كَمَا لِوَحِيدٍ مِنَ الآبِ، مَمْلُوءًا نِعْمَةً وَحَقًّا» (يوحنا ١:١٤)، ويضيف بعد ذلك «اَللهُ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ قَطُّ. اَلابْنُ الْوَحِيدُ الَّذِي هُوَ فِي حِضْنِ الآبِ هُوَ خَبَّرَ» (يوحنا ١:١٨).

٢٥) بمَ نعترف في قولنا: «المولود من الآب قبل الدهور»؟

نعترف بأنّ كلمة هو الوجود (الأقنوم) الثاني المميّز في الثالوث القدوس، وبالتالي هو كان في الآب قبل كلّ الدهور.

٢٦) بمَ نعترف بقولنا: «نور من نور، إله حق من إله حق»؟

هنا نعترف بأنّ السيّد يسوع المسيح هو ابن الله بالطبيعة وليس بالنعمة، كالذين نالوا التبنّي بيسوع المسيح (يوحنا ١:١٤، أنظر تعليم كيرللس الأورشليمي الثالث)؛ وبأنّه نور بلا زمن خارج من نور الألوهة المثلّث الشموس، وبأنّ الابن وكلمة الله هو نور كما أنّ الآب نور، لأنّه إله حقيقي لا بالنعمة أو بالاشتراك بالنعمة الإلهية، بل بحسب الطبيعة، على أنّه من الإله الحقّ الواحد، كما الشعاع من الشمس.

٢٧) ماذا يقول الكتاب في هذا الإطار؟

يقول النبي إشعياء: «لاَ تَكُونُ لَكِ بَعْدُ الشَّمْسُ نُورًا فِي النَّهَارِ، وَلاَ الْقَمَرُ يُنِيرُ لَكِ مُضِيئًا، بَلِ الرَّبُّ يَكُونُ لَكِ نُورًا أَبَدِيًّا وَإِلهُكِ زِينَتَكِ»(٦٠:١٩). ويقول الرسول بولس:«الَّذِي، وَهُوَ بَهَاءُ مَجْدِهِ، وَرَسْمُ جَوْهَرِهِ، وَحَامِلٌ كُلَّ الأَشْيَاءِ بِكَلِمَةِ قُدْرَتِهِ» (عبرانيين ١:٣). ويقول يسوع عن نفسه: «أَنَا هُوَ نُورُ الْعَالَمِ. مَنْ يَتْبَعْنِي فَلاَ يَمْشِي فِي الظُّلْمَةِ بَلْ يَكُونُ لَهُ نُورُ الْحَيَاةِ» (يوحنا ٨:١٢).

٢٨) ما الذي نعترف به بقولنا: «مولود، غير مخلوق»؟

بهذه الكلمات نعترف ونشدّد على أن الرب يسوع المسيح هو ابن الآب الذي لا بداءة له وليس خليقةً تألّهت بالنعمة.

٢٩) بمَ نعترف بقولنا: «مساوٍ للآب بالجوهر»؟

يسوع المسيح هو ابن من جوهر الآب، لا من جوهر مشابه له، لأنّ فيه كامل كيان الآب، كمثل النور من النور، وليس من كائن آخر. كما نعترف بأنّه الكلمة الإلهي الجالس على عرش الثالوث.

٣٠) ما هو الاعتراف الذي نقدمه بقولنا «الذي به كان كلّ شيء»؟

هنا نعترف بأن الربّ يسوع المسيح هو ابن الله وكلمته، كمثل النور من النور، الإله الحق من الإله الحق، وليس أنّه غير مخلوق وحسب، بل أنّه هو الخالق لكل الطبيعة المنظورة والمُدرَكة، وأنّ به تكوّنت كل الأشياء ومن دونه لم يكن شيء مما كُوِّن (يوحنا ١:٣).

٣١) لماذا نعترف بأن به كان كل شيء؟

إن عبارة «به» تساوي عبارة «منه»، وهي تعلن أنّ التكوين كان بإرادته وتصميمه، وليس كما بأداة. يذكر الكتاب المقدّس: «كَانَ فِي الْعَالَمِ، وَكُوِّنَ الْعَالَمُ بِهِ» أي «**هو صنع العالم**» كما يظهر من الفصلين الأول والثاني من إنجيل يوحنا.

٣٢) بماذا نعترف في البند الثالث من دستور الإيمان أي في قولنا «الذي من أجلنا ومن أجل خلاصنا نزل من السماء وتجسّد من الروح القدس ومن مريم العذراء وتأنّس»؟

من خلال البند الثالث نحن نعلن إيماننا ونعترف بأن الربّ يسوع المسيح، ابن الله وكلمته، نزل من السماء واتّخذ جسدًا من الروح القدس ومن مريم العذراء التي حبلَت به بطريقة فائقة للطبيعة بمجرّد قبولها رسالة الملاك وإعلانها: «هاءنذا أمة للرب، فليكن لي بحسب قولك» (لوقا ١:٣٨).

٣٣) ماذا يقول الكتاب المقدس عن نزول الرب يسوع المسيح من

السماء؟

يذكر الإنجيلي يوحنا ما قاله يسوع المسيح عن نفسه: «وَلَيْسَ أَحَدٌ صَعِدَ إِلَى السَّمَاءِ إِلاَّ الَّذِي نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ، ابْنُ الإِنْسَانِ الَّذِي هُوَ فِي السَّمَاءِ» (يو ٣:١٣، ٣١، ١٦:٢٨، و١كورنثوس ١٥:٤٧).

٣٤) ماذا يروي الإنجيلي لوقا عن العذراء مريم كوالدة الرب يسوع المسيح؟

يقول الإنجيلي لوقا أن العذراء مريم قصدت أليصابات وسلّمت عليها، وأنّ اليصابات، امتلأت من الروح القدس، هتفت بصوت عظيم قائلة: «مُبَارَكَةٌ أَنْتِ فِي النِّسَاءِ وَمُبَارَكَةٌ هِيَ ثَمَرَةُ بَطْنِكِ!... فَطُوبَى لِلَّتِي آمَنَتْ أَنْ يَتِمَّ مَا قِيلَ لَهَا مِنْ قِبَلِ الرَّبِّ» (لوقا ١:٤٥-٣٩).

٣٥) بمَ نعترف في قولنا «من الروح القدس ومن مريم العذراء»؟

إننا نعني ما يلي: الروح القدس الذي يقدّس ويحيي كلّ الأشياء، الذي منح الحياة لكلّ العالم المخلوق عند خلقه له، وأظهره قادرًا على إنتاج الحياة الأولى في العالم، قدّس مستودع الدائمة البتولية مريم العذري وأفعمه بالحياة، وصار العلّة الخالقة لتجسّد الكلمة الإلهية وتأنّسه، حتّى أن آدم الجديد يتكوّن فتقدّم البشرية لكلمة الله إنسانًا كاملًا وبلا خطيئة.

٣٦) بمَ نعترف بقولنا «تأنّس» (أي صار إنسانًا)؟

بعبارة «تأنّس» نعترف بأنّ الرب يسوع المسيح، كلمة الله، لكونه إلهًا كاملًا، صار إنسانًا كاملًا، وهو إله-إنسان. أي أنّه، كإنسان كامل، له نفس عاقلة، وأنّ الطبيعتين الإلهية والبشرية اتّحدتا في أقنوم (شخص، كائن) واحد من دون تشوّش أو تبدّل أو انقسام أو انفصال أو تحوّل، وأنّ كلّ طبيعة حفظت كل صفاتها الخاصة.

«من دون تشوش» تعني من دون أن يتّخذ طبيعة بدل الأخرى.

«من دون تبدّل» تعني أن أيًا من الطبيعتين لم تتحوّل إلى الأخرى.

«من دون انقسام» تعني أن أيًا من الطبيعتين لم تكن في خدمة الأخرى.

«من دون انفصال» تعني أنّ الطبيعتين موجودتان معًا.

«من دون تحوّل» تعني أنّ الطبيعتين غير قابلتين للتبدّل بل تبقيان على حالهما إلى الأبد.

٣٧) بمَ نعترف ونؤمن حول العذراء مريم؟

في ما يختصّ بالعذراء مريم، نحن نؤمن ونعترف بأنّها كانت مباركة بين النساء واختيرَت من بين كل الأجيال، وأنّها كانت عذراء قبل أن تَلِد، وأثناء الولادة، وأيضًا بقيت عذراء بعد أن وَلَدَت. لهذا هي تُسمّى «الدائمة البتولية» و«الدائمة العذرية» والعذراء بامتياز، لأنّها وَلَدَت الإله الذي صار إنسانًا وظَهَرَت حاملة الإله.

٣٨) ما الذي نعترف به من خلال البند الرابع في دستور الإيمان: «صُلِب عنّا على عهد بيلاطس البنطي وتألّم وقُبِر»؟

بهذا البند نحن نعلن إيماننا واعترافنا بأنّ الرب يسوع المسيح، إذ قد تانّس لأجل خلاص العالم، تألّم كإنسان على عهد بيلاطس البنطي، بالرغم من كونه غير قابل للألم في ألوهيته، وأنّه احتمل الموت من أجلنا ودفِن بالجسد، وفيما كان في الجحيم كإله بالنفس، كان في الفردوس مع اللص، ومع الآب والروح على العرش، متممًا كلّ الأمور التي يصعب وصفها.

٣٩) بمَ نعترف أيضًا في هذا البند الرابع؟

نعترف بأن يسوع المسيح، من خلال موته على الصليب، صالحَ البشرية مع الله، بتقديمه نفسه إلى الآب كضحية طاهرة من أجل حياة العالم وخلاصه. لهذا السبب، كلّ الذين يؤمنون به يخلصون، فيما الذين لم يؤمنوا به يُعاقَبون، لكونهم تحت الخطيئة الجديّة وخطاياهم الذاتية، فنحن لا نتبرر ونُفتَدى أمام الله إلّا من خلال هذه التقدمة، لأن كل التقدمات الأخرى التي للناموس القديم صارت غير نافعة، لكونها ظلًا وحسب، وأن بموت المسيح المخلّص اكتمل عمل التدبير الإلهي، وأخيرًا أنّ الرب يسوع المسيح هو رئيس الكهنة على رتبة ملكيصادق الذي، بحسب الكتاب المقدّس، دخل مرة إلى قدس الأقداس ووجد الخلاص الأبدي وبالتالي رئاسة هرون الكهنوتية انتهَت.

٤٠) ما هي نتائج موت مخلصنا يسوع المسيح على الصليب؟

النتائج المخلّصة العالم المتأتية عن دم إلهنا الغالي الذي أُهرِق على الصليب، هي التالية:

أ) التطهر من الخطايا (يوحنا ١:٧، عبرانيين ٩:١٣، ١٤،...)

ب) التحرر من الخطيئة (رومية ٦:٢٠) ومن أبيها الشيطان (٢ تيموثاوس ٢:٢٦،...)

ج) الفداء من اللعنة (غلاطية ٣:١٣، ١كورنثوس ٦:٢٠، ٧:٢٨، ...)

د) المصالحة مع الله (كولوسي ١:١٩، ٢٢، روما ٥:١٠، وغيرها)

هـ) الارتباط بالله من خلال العهد الجديد (عبرانيين ٩:١٥، ١٢:٢٤، أفسس ٨١٨:١٣)

و) التبنّي والعيش مع الله (غلاطية ٤:٤، افسس ٢:١٩، ٢ بطرس ١:٤)

ز) التقدّس في الحياة الحاضرة من خلال نعمة الرب (١بطرس ٢:٢٤، أفسس ٥:٢٥-٢٧، كولوسي ١:٢١-٢٢، تيطس ٢:١٤)

ح) ميراث المجد الأبدي والبركة (يوحنا ١٣:١٤، روما ٥:١٠، عبرلنيين ٢:٢٠)

٤١) ما هو اعترافنا من خلال البند الخامس من دستور الإيمان: «وقام من بين الأموات على ما في الكتب»؟

إن اعترافنا وإيماننا المعبّر عنه في البند الخامس من دستور الإيمان هو:

أ) أن الرب يسوع المسيح، حياة الكلّ، قام من بين الأموات، في اليوم الثالث، كما قال هو وكما تنبأ الكتاب المقدس.

ب) أنّه سوف يقيمنا مُجَدَّدًا في اليوم الأخير، فنكون أوّل المولودين من الموت، كما أنّه هو أول الخليقة الذي يسود الأحياء والأموات.

٤٢) بمَ نعترف في البند السادس من دستور الإيمان: «صعد إلى السماء وجلس عن يمين الآب»؟

نعترف بأن الرب يسوع المسيح الذي قام من الموت، صعد بمجد إلى السماوات وجلس عن يمين الله الآب. نعترف أيضًا أنّه ظهر لتلاميذه القديسين لمدة أربعين يومًا وأنّه عند صعوده حمل معه البشرية التي اتّخذ جسدها وقدّسه.

٤٣) ماذا نعني بعبارة «جلس عن يمين الآب»؟

نعني أنّه جلس على نفس العرش مع الآب وبنفس المجد والسلطان اللذين كانا له قبل الدهور.

٤٤) بماذا نعترف في البند السابع: «وسوف يأتي بمجد ليدين الأحياء والأموات الذي لا فناء لملكه»؟

بهذا البند نعترف بأننا نؤمن بالمجيء الثاني لربنا يسوع المسيح، الذي سوف يكون مملوءًا مجدًا وقوّة، والذي فيه سوف يقاضي الأحياء والأموات كقاضٍ عادل، وسوف يحاسب كلًا بحسب أعماله، وبمكافأته للأبرار سوف يمنحهم الحياة البدية، بينما في معاقبته للأشرار سوف يدينهم بالعذاب الأبدي، كما قال: «وَمَتَى جَاءَ ابْنُ الإِنْسَانِ فِي مَجْدِهِ وَجَمِيعُ الْمَلاَئِكَةِ الْقِدِّيسِينَ مَعَهُ، فَحِينَئِذٍ يَجْلِسُ عَلَى كُرْسِيِّ مَجْدِهِ. وَيَجْتَمِعُ أَمَامَهُ جَمِيعُ الشُّعُوبِ، فَيُمَيِّزُ بَعْضَهُمْ مِنْ بَعْضٍ...» (متى ٢٥: ٣١-٤٦) وكما يظهر البرق من الشرق إلى الغرب، هكذا سوف يكون ظهور ابن الإنسان «لأَنَّهُ كَمَا أَنَّ الْبَرْقَ يَخْرُجُ مِنَ الْمَشَارِقِ وَيَظْهَرُ إِلَى الْمَغَارِبِ، هكَذَا يَكُونُ أَيْضًا مَجِيءُ ابْنِ الإِنْسَانِ» (متى ٢٤: ٢٧).

الأرثوذكسيّة عند الأب يوحنا رومانيدس

إن الشعب والحضارة الأرثوذكسِيَّيْن يقاومان عملية التغريب (westernization). لكن ما هي الحضارة الأرثوذكسية؟ أهي حضارة بالمعنى الغربي للكلمة؟ لا، الأرثوذكسية ليست حضارة، حتّى ولو أشار تويني إليها بـ "الحضارة الأرثوذكسية". لماذا؟ لأن الأرثوذكسية عِلْمٌ (science).

وبحسب المعايير المعاصرة، هي علم طبّي، وليست حضارة. ليست الأرثوذكسية لا حضارة ولا نظامًا سياسيًا، لأنّها تهتمّ بخلاصنا الشخصي، خلاص نفوسنا. تقوم الأرثوذكسية على حقيقتين:

– «**الكلمة صار جسدًا**» (**يوحنا ١: ١٤**)، و

– «**ما من توبة في الجحيم**» (القديس يوحنا الدمشقي، «المئة مقالة في الإيمان الأرثوذكسي»، الكتاب الثاني، الباب الرابع).

بالطبع، تحمل الأرثوذكسية في ذاتها ما هو ضروري لخلق حضارة، لكنها بذاتها ليست حضارة. الأرثوذكسية ليست حتّى دينًا. ليست دينًا مثل كلّ الأديان الأخرى. تتميّز الأرثوذكسية عن غيرها بظاهرة فريدة لا يمتلكها أي دين آخر. تتعلّق هذه الظاهرة بمنشأ وطبيعة ومصير البشر، كما بكيفية شفائهم. هذا يجعل الأرثوذكسية مختلفة. الأرثوذكسية هي مسار من العلاج الذي يشفي شخصية الإنسان.

ينشغل الطبيب الأصيل بعلاج كلّ مَن هو مريض، من دون استثناء ومن دون تمييز. إنّه لا يُحَدِّدُ أشخاصًا من بين الآخرين من أجل العلاج. هو لا يهتمّ للمركز الاجتماعي للأشخاص، ولا بوضعهم المادي، ولا بدينهم أو سلوكهم الأخلاقي. لا ينتبه الطبيب الحقيقي إلّا إلى إذا كان مَن يقصدونه مرضى وحَسْب. وإذا كانوا مرضى فهو يهتمّ ويحاول أن يعالجهم ويشفي ضعفهم. إنه مُلزَم بمعالجتهم. عندنا في التقليد الأرثوذكسي شيء مشابه، لا بل هو أكثر من ذلك. وهذا الشيء الإضافي هو ما يشكّل طريقتنا في الدفاع ضد التغريب.

لا يحب الله القديسين فقط بل كلّ الناس، من دون استثناء، بمَن فيهم الخطأة والذين في الجحيم وحتّى الشيطان. وهو يتمنّى أن يخلّص كل واحد منهم ويشفيه. إنّه يريد أن يشفيهم جميعًا، لكنّه لا يستطيع ذلك، لأنّ ليس جميعهم يريدون أن يشفوا. نحن نعلم هذا، أنّ الله محبة وهو يرغب في شفاء الكلّ ويحب الكلّ، لأنّ هذا قد تمّ إثباته وما يزال يُثبَت في خبرة الذين بلغوا التمجيد، حيث يمكن معاينة الله، وقد عاينوه.

مع هذا، لا يستطيع الله أن يشفي الجميع، لأنّه لا يتخطّى الإرادة البشرية. يتعاطى الله مع الإنسان باحترام كبير ويحبّه. ولكنّه لا يستطيع أن يشفي إنسانًا ما بالقوّة. إنّه يشفي فقط أولئك الذين يرغبون بالشفاء والذين يطلبون شفاءهم. طبيعيًا، مَن هو مريض جسديًا، أو حتّى عقليًا، يذهب إلى الطبيب من ذاته وليس بالقوة لكي يتعافى، هذا إذا كان ما يزال قادرًا على التفكير السليم. الأمر عينه يحدث في مسيرة الأرثوذكسية العلاجية.

علينا أن نذهب إلى الكنيسة بحرية من دون أي إلزام أو ضغط. علينا أن نمضي إلى أناس مشهود لهم قد بلغوا الاستنارة، وهم مختبَرون، ولديهم الطريقة العلاجية التي من التقليد الأرثوذكسي. من بعدها علينا أن نكون مطيعين لهم لكي نجد الشفاء.

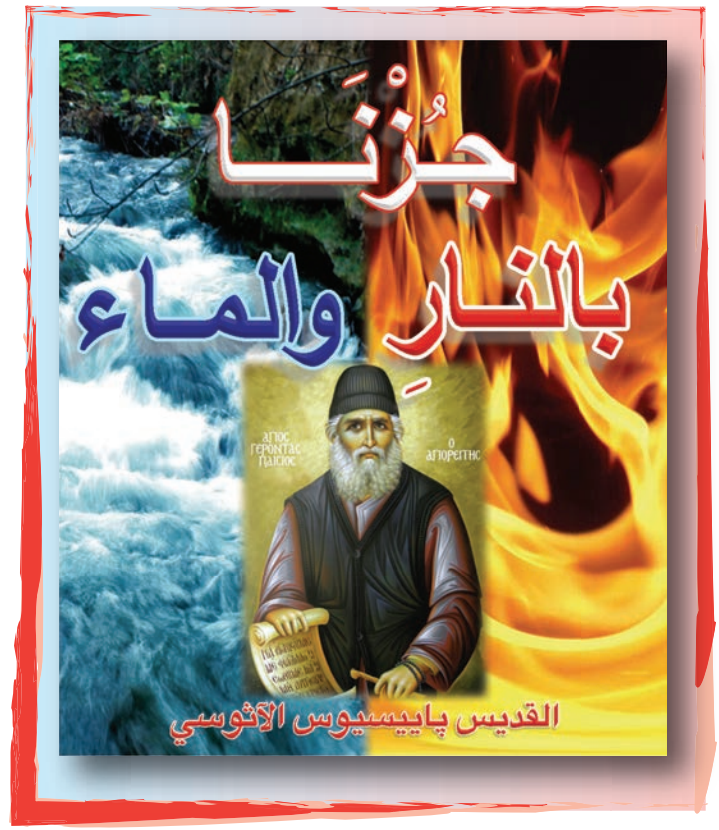

الباب الثالث

الإعاقَةُ بركَةٌ من الله

✝ مواجهة الإعاقة بشكلٍ صحيح ✝

✝ يارواندا، هل يمكن أن تَخلُقَ الإعاقَة عُقدَةَ نَقصٍ؟.

✝ هذا هراء لا معنَى له.

✝ لكن، يارواندا، هَذَا مَا يحدثُ لبَعضِ المُعَاقين؟.

✝ يَحدث ذلك لأنَّهم لا يفهمُون وَضعهم بشكلٍ صَحيح. فإذا بدأوا برُؤيَة إعاقتهم كبرَكةٍ من الله، فَلَن يَعتبروهَا ضرَرًا وأَذًى. لَوْ كَانَ أحدُ الأطفالِ الصغارِ مُعاقًا ولَمْ يَتَلَقَّ المُسَاعدةَ ليُواجهَ إعاقتَه بفرَحٍ، فستحدثُ مواقفُ صعبةٌ ناتجةٌ عن شعورِه بأنَّه أَقلُّ من غيْرِه. وإذا كَبرَ ورافقَه هذا الشعورُ فهذا يَعنِي أنَّه لا يفهمُ المعنَى العميقَ للحياةِ.

ظَهَرَ ورَمٌ في عينِ إحدَى الفتياتِ الصغيراتِ، في سنّ التاسعة، واضطُرَّ الأطباءُ لقلعِها. كانَ الأولادُ في المدرسة يَسخرون منها، ممَّا جعلها تَتعذَّبُ. أَتَى وَالدُهَا إلى قلايتِي وَقَصَّ عليَّ مُشكلتَه. «يارواندا، لَقَدْ ظَنَنْتُ بِأَنِّي إذا أَحضرْتُ لَها كُلَّ ما تطلبُه تَشعُر بالسَّعادةِ وتنسى إعاقَتها والسخريةَ التي تعرَّضتْ لها. لَكِن، كيفَ سَأَفعلُ ذلكَ ولدَيّ خمسةُ أولادٍ غيرها، وَهُم يَشعرون بالغيرةِ ولا يفهمون ما يَجري؟ ».

فقلتُ له: «أَيُّ نوعٍ من الحلولِ هذا؟ إنَّها تعزيةٌ زائفةٌ، وليسَت حَلًّا. لو أَعطيتها كلَّ الثيابِ التي تطلبُها الآن، فسوفَ تطلبُ منكَ بعدَ عدَّة سنواتٍ أن تشتري لها سيارةَ مرسيديس. فكيفَ ستؤمِّنُ ثمنها؟ ثُمَّ ستسمعُ أنَّ بعضَ الأشخاصِ لديهم طائرة خاصة بهم وستطلبُ واحدةً مثلها. ماذا ستفعل عِندها؟ حَاولْ مُساعدةَ ابنتِكَ لكَي تَشعرَ بالرِّضَى لوجودِ عينٍ واحدةٍ لديها. ساعدها لتَشعر أنَّها شهيدة.

في الكنيسة الأولى، اقتُلعت أعينُ الشهداءِ، وقُطِعَت آذانُهم وأُنوفُهم، بينما كانَت ضَحكَاتُ المتفرِّجين تَتعالى. لكنَّ أولئك الشجعان لَمْ يَتردَّدُوا ولم يَجزعُوا من استشهادهم، رغم السخريةِ والأَلم الفظيع. إذا فَهِمَت هذه الطفلة إعاقتها وواجَهَتْها بشكرٍ وتمجيدٍ، فسيُحصيها اللهُ مع المعترفين في الكنيسة. وهل هذا أمرٌ بسيطٌ أن يُدبِّرَ اللهُ أن تُقلَعَ عينُ الطفلةِ جراحيًا دون أَلمٍ، وأن تُحصَى مع المعترفين؟ طِفلةٌ كهذه ليسَت مسؤولةً عَن أيَّةِ خَطايا وستَنالُ جائزةً ثمينةً بسببِ هذه الإعاقة».

شَكرني الأبُ البائسُ وغادَرَ متعزيًّا. وقد ساعدَ ابنتهُ الصغيرةَ لتَعتبرَ إعاقتها بَرَكةً عليها أن تَشكر الله مِن أجلها.

كَبِرَتِ الفتاةُ بشَكلٍ طبيعيّ، وتابعت دراستَها ودَخلَت الجامعةَ لتختصَّ في الأدبِ، وهي الآن معلّمةٌ، وانسانةٌ فَرِحةٌ أكثر منَ العديدِ من النساءِ الشَّابات اللواتي يَملكن كُلَّ شيء ولكِنَّهن يَتعذّبن، لأنهنّ لَمْ يَفهمن المعنَى العَميقَ للحياةِ.

إذا لم يدركِ الناسُ مَعنَى الحياةِ، فسَيَتعذّبون مِنَ البَركاتِ والفُرَصِ، على حَدٍّ سواء، التي يعطيها الله لَهم من أجل خلاصهم. مَن يَفهم وَضعهُ بشكلٍ صحيح سَيستمتع بكلِّ شيء. حتَّى الإنسانُ الكسيحُ قَد يستمتع بإعاقته! وحتَّى الإنسان الغبيُّ يُمكنه أنْ يَكونَ سعيدًا، والفقيرُ يستطيعُ أيضًا أن يستمتعَ بِفَقره.

أَنا أفهم، طبعًا، مقدارَ الصعوباتِ التي يتحمّلها المُعَاقون وأُصَلّي من أجلهم، خاصَّةً من أجل النساءِ الشَّابات. قد لا تكون الإعاقةُ عِبئًا ثقيلًا بالنسبةِ للشَّباب، لكِنَّها كذلك بالنسبةِ للفتاةِ الشابةِ، التي ترغبُ بالزواجِ وتأسيس عائلةٍ.

يُعاني العميان، على وجه الخصوصِ، من الكثيرِ من الشدائدِ بسبب إعاقتهم! فمن الصعب بالنسبة لهم أن يعتنُوا بأَنفسهم، وغالبًا ما يتعثَّرون عندما يَسيرون. لهذا أطلبُ من الله في صلاتي أَن يُعطي العميان بصيصًا من النورِ ليستطيعوا الاهتمام بأنفسهم.

الحذر

إِذَا طَالَبَتْكَ ٱلنَّفْسُ يَوْمًا بِشَهْوَةٍ
وَكَانَ إِلَيْهَا فِي ٱلْخِلَافِ طَرِيقُ
فَخَالِفْ هَوَاهَا مَا ٱسْتَطَعْتَ فَإِنَّمَا
هَوَاهَا عَدُوٌّ وَٱلْخِلَافُ صَدِيقُ

العهد القديم في الكتاب المقدس (١٠٣)

٥) يوحنا هيركاتس (١٣٥-١٠٥ ق.م.):

هو ٱبن سمعان وخلف أباه في المُلك ورئاسة الكهنوت، ونشأ جنديًّا تدرَّب على يد عمّه يهوذا وسياسيًا مُحنّكًا على يد عمه يوناثان، وورث صفات الشجاعة والحكمة من ابيه، فجمع في شخصيّته جملة صفات تؤهّله لإدارة الحُكم في وقتٍ كانت فيه البلاد مهدّدة بأخطار أعدائها من الخارج وانقسامات اليهود في الداخل.

وبعد أن تولّى يوحنا الحُكم، تحوَّلَ نحو أريحا ليثأر لقتل أبيه وإخوته، وبعد موت أنطيوخوس خلعَ يوحنا النير السوري وأخذ تعضيدًا من روما.

وهدم هيركانس معبد السامريين على جبل جرزيم وأخذ في توسيع مملكته بامتداد حدود اليهوديّة فزاد بذلك من ارتفاع شأن المملكة الحشمونية من كل اتجاهاتها، وأخضَعَ الأدوميين ودفعوا له الجزية وضمّهم إلى مملكة اليهوديّة، وفرضَ عليهم الختان كضمان لولائهم ومن الأدوميين الذين تهوّدوا أجداد هيرودوس الكبير، وجمع ثروة طائلة، وبنى حصون الهيكل ذلك الذي أسماه هيرودوس فيما بعد قلعة أنطونيا، وعيّن ٱبنيه أنتيجونس وارسطوبولس قَائِدَيْنِ على الجيش.

وفي عهده وصلت المملكة الحشمونية إلى قمّة مجدها واتّساعها وقوّتها، ونجح في حُكمه الذي دام ثلاثين عامًا قضاها في هدوء وسلام (مك١ ١٦: ١١-٢٤) إلّا أنَّ الحسيديين تحوّلوا إلى شيعة ضيّقة المذهب هم أصل الفريسيين وكان خصومهم الصدوقيين الذين تهاونوا في فروض الشريعة، وهنا اتّسعَت شقّة الخلاف بين الفريقين، فريق المتشدّدين وهم الحسيديون وفريق التجديد وهم الصدوقيون وهذه الطائفة الأخيرة نجحت في أن يعهد إليها ببعض دوائر الحكومة للإشراف عليها، فأصبحوا هم الطبقة الأرستقراطية في الكهنة، وكانت تحظَى بمناصرة هيركانس فكانت تتعاون مع الأسرة المالكة، وبدأت نيران الصراع يشتد لظاها ، ودرءًا لخطر لإنقسام الذي بدأ يلوح في نهاية حُكمه، حاوَلَ هيركانس أن يخمد نيران الصراع فأوصَى قبل موته أن يعيّن ٱبنه أرسطوبولس لرئاسة الكهنوت.

٦) أرسطوبولس الأول (١٠٤-١٠٣ ق.م.):

بعد موت يوحنا هركانس نشبت الفِتَن واشتعلت الضغائن في العائلة المكابيّة وانفردت أرملته بالحُكم، وظلّ ابنه أرسطوبولس في رئاسة الكهنوت، ولكنه أراد أن يستأثر بالسلطتين المدنية والكهنوت، فاعتقل أمّه ومنع عنها الطعام حتّى ماتت، وسجن ثلاثة من إخوته، وقتل أخاه أنتيجونس، وأطلق على نفسه لقب ملك، واستأنف سياسة أبيه التوسعيّة فقام بغزو الجليل وتهويده، وختن سكانها كما فعل أبوه بأدوم، ولم يَدم حُكمه سوى سنة واحدة.

٧) الإسكندر جانيوس (١٠٣-٧٦ ق.م.):

هو الابن الثالث لهيركانس خلفَ أخاه أرسطوبولس وقد تزوَّجَ من إسكندرا سالومي، وبعد موت أبيه تولّى إسكندر جانيوس العرش وبحملات حربيّة ناجحة أضافَ ممتلكات واسعة للدولة في بتولمايس (عكا) في الشمال، وغزّة من جهة الغرب، وتسلَّط على شواطىء البحر الميت في الشرق، كما أصبح بحر الجليل في الشمال، بحيرة يهودية بعد أن نجح في ردّ هجمات السوريين، وبسط سلطانه بحكم الأجزاء الخمسة التي ورثها وهي اليهودية وأدومية والسامرة والجليل وبيرية، وعيَّن حُكامًا مدنيين فيها، وكانت هناك حصون عسكرية في مسَّاده وماكيروس لحراسة الحدود الجنوبية الشرقية، وهيروكانيا السجن الحكومي المخيف في برية اليهودية الذي يشرف على وادي الأردن، ولكن مع هذا النجاح بلغ التصادم أشدّه بين الحسيديين والصدوقيين وتصاعدت أعمال القمع بين الطرفين إلى أن أعلن حزب الحسيديين (الفريسيين) الثورة والتي كلّفت الأمّة خمسين ألف قتيل من الفريسيين وأمر الملك بصلب ثمانِ مئة من زعمائهم في أورشليم، وذَبَحَ نساءهم وأطفالهم فكان أوّل مَن أدخَلَ حُكم الصَّلب في تاريخ اليهود، وقد ذُكِرَت في مخطوطات قمران التي اكتشفت سنة ١٩٤٧ إشارة إلى اضطهاد الإسكندر جانيوس للفريسيين ومات بعد حُكم ٢٧ سنة، وكانت مملكة الحشمونيين في أوسع حدودها، لكن كانت تأكلها الانقسامات في الدَّاخل.

كُتِبَ على أحد الـ....

أَتَعْمَى عَنْ ٱلدُّنْيَا وَأَنْتَ بَصِيرُ
وَتَجْهَلُ مَا فِيهَا وَأَنْتَ خَبِيرُ
وَتُصْبِحُ تَبْنِيهَا كَأَنَّكَ خَالِدٌ
وَأَنْتَ غَدًا عَمَّا بَنَيْتَ تَسِيرُ
فَلَوْ كَانَ يَنْهَاكَ ٱلَّذِي أَنْتَ عَارِفُ
لَقَدْ كَانَ فِيمَا قَدْ بَلَوْتَ نَذِيرُ
مَتَى أَبْصَرَتْ عَيْنَاكَ شَيْئًا فَلَمْ
يَكُنْ لَهُ مُخْبِرٌ أَنَّ ٱلْبَقَاءَ يَسِيرُ
فَدُونَكَ فَٱصْنَعْ كُلَّ مَا أَنْتَ صَانِعٌ
فَإِنَّ بُيُوتَ ٱلْمُتْرَفِينَ قُبُورُ

سيرة القديس نكتاريوس العجائبي

الجزء الثاني

الفصل الأوّل

✝ « قد سمعت مذمة من كثيرين والهول احاط بي. يقولون اشتكوا فنشتكي عليه. كل من أصحاب سلامي والملازمين لجانبي يقول لعلّه يُخدع فنقوَى عليه وننتقم منه» (ار ٢٠: ١٠).

✝ «ومتى قُمتم لتصلوا فان كان لكم على احد شيء فاغفروا له لكي يغفر لكم أبوكم أيضًا الذي في السموات زلّاتكم» (مر ١١: ٢٥).

تأخّرت الأمسية ونحن في أواسط الخريف. في مكان ما عند أبواب أثينا، وفي حيّ يكاد يكون مقفرًا، كان هناك راهب يسير باتجاه غرغاريتا بقرب صخرة فيليبوس. كانت عاصفة كبيرة قد غرّقت المدينة بالمياه، فتحوّلت الحقول المجاورة الى مستنقعات وحل.

كان الراهب يتقدّم بخطى منتظمة، رافعًا جبّته بينما كان حذاؤه الضخم يغرق في الوحل السميك. ثم استدار وراح يقطع حقولًا مليئة بالأوساخ. وبعدها دخل في حقول من القمح، ثمّ مرَّ أمام بعض المنازل المنخفضة القليلة، مفتشًا عن رقم ما على أحد الأبواب. أخيرًا توقف إلى الجهة اليمنى، ونظر إلى حذائه الموحل، ثمّ هزّه مرّات عِدَّةً ليسقط عنه الوحل. واقترب من باب بنيّ ودقَّ عليه بالمطرقة.

وفي الحال فتحت له امرأة عجوز، وقَبلَ أن يتفوَّه بكلمة، أشارت إليه باتجاه سلّم خشبي يقود إلى ممرّ مزجّج حيث توجد غرفة. وفكّرت المرأة العجوز: «إن رجلًا يرتدي جبّة سوداء لا يمكن أن يأتي إلى هنا إلّا لرؤيتة هو، المطران المنفي ...!».

فقال الراهب «شكرًا». متجنبًا كل كلمة زائدة مع امرأة، حتى ولو كانت عجوزًا. وتقدّم وهو يمسح حذاءه الموحل مرات عدة على الحصيرة. وصعد السلّم وطرق باب الغرفة.

ثم انحنى ليقبّل يد الأسقف قائلًا:

– «صاحب السيادة».

فقال نكتاريوس: «هذا انت يا سيناسيوس؟ منذ متى أنت هنا؟

– «منذ اسبوعين».

– «مضى عليك اسبوعان هنا، والآن تأتي لزيارتي؟ أأنت أيضًا تتجنب لقائي؟».

– «أنت تعرف كم من المشاغل كثيرة يا سيدي، والمواعيد ... مضى عليّ يومان لم أَنَم خلالهما ساعة واحدة. وقد خارت قوّتي».

– «هل كنت في الاسكندرية أم في سيناء؟».

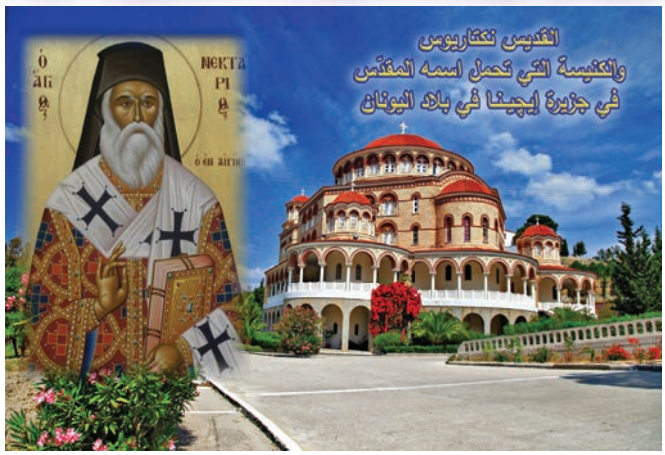

– «في سيناء».

وتلا ذلك صمت طويل. ثم قال نكتاريوس:

– «لا بدّ أنهم أطلعوك على كل ما جرى، بما أنّك اكتشفت مخبأي».

فأجاب الراهب:

– «لقد علمت بكل شيء، ولست أجد ما أقول لك: لقد توقف قلبي عن الخفقان. انه الحسد يا سيدي، الحسد ... كان رئيس ديرنا يقول بكثير من الحكمة: إن الحسد تاج الشيطان وصولجانه».

– «ليتمجد اسم الرب».

– «لقد ضاعَ صوابهم يا صاحب السيادة بسبب قدراتك وجدارتك. فقد استنفدتَ قواك في خدمة العرش البطريركي. ولو أنك بقيت في مصر لأصبحت الآن حتمًا بطريركًا. لأن الإكليروس والشعب كانوا قد رفعوا الصوت عاليًا، وقلبوا الأمور لصالحك رأسًا على عقب. وهذا ما يحصل في الوقت الحاضر على كل حال، وجميع الشعب يتكلم عن ذلك.

–« لم أفكّر أبدًا بكل هذا يا سيناسيوس، أؤكد لك. وأنا أصلي ليل نهار من اجل صفرونيوس.

– «رغم كل المرارة التي تجرعتّها بسبب عناده الناتج عن الشيخوخة!».

– «المجد لله على كل شيء».

وتابع الراهب:

– « لقد خطرت لي فكرة. أرجو أن تسامحني عليها سلفًا. وألّا تخبر بها أحدًا: إن صفرونيوس محتال، انه عجوز ماكر. وهو يعرف انك لا تلام على شيء، وهو على علم تام بفضيلتك، لذلك اشك كثيرًا بأنه قد خُدِعَ من قِبَل هؤلاء المتآمرين: لا بد انه عَلِمَ برغبات الشعب، وخَشِيَ أن ترتقي العرش قبل موته ...

– «هذا غير معقول!».

– «في هذا الوقت يتابع موظفو البطريركية حَبْكَ المؤامرات ضدك، وإشاعة الفظاعات حولك إلى درجة أنهم سوف يدمرونك كليًا».

الأرثوذكسيّة (٦٢)
قانون إيمان لكل العصور

الرسل الأطهار

قاعدة الأيمان

الذي ليس لملكهِ انقضاء

كان اليهود في أيّام يسوع يُريدون مسيًّا محسوسًا عالميًّا ليُقيم قوّة حربيّة بدرجة من العظمة قادرة على أن تقضي على أعدائهم وتُنشيء امبراطوريّة يهوديّة تُغَطّي كُل العالم. إنّهم أرادوا أن يقهَر يسوع العالَم ويعيده إلى اليهود. كَم يكون مثل هذا الشخص الذي يُشبع خمسة آلاف بخمسة أرغفة وسمكتين، والذي يشفي المرضَى ويُقيم الموتَى، كَم يكون قائدًا سياسيًّا فذًّا محنّكًا. وعندما رَفَضَ يسوع هذه الفكرة والخطّة ليقيم مملَكة محسوسة عالميّة، فإنّ اليهود انقلبوا عليه وصلبوه.

تهكّم اليهود على يسوع حتّى إنّ شعبه صَلَبه لأنّه رفَضَ أن يُقيم مملكة أرضيّة، بينما تهكّم الرومان عليه وسَخِروا منه ووافقوا على صَلبه خوفًا مِن أن يُقيم هذه المملَكة !

بل وحتى التلاميذ وجدوا صعوبة شديدة في أن يتخلّوا عن فكرة المملكة الأرضيّة، ويتّضح كيف تعمّقت جدًّا فكرة المملكة الماديّة من خلال طلب يعقوب ويوحنا أن يكون لهما أفخر الأماكن في هذه المملكة (مت ٢٠: ٢٠-٢١)، وكذلك من خلال سؤال التلاميذ للربّ بعد قيامته : «هل في هذا الزمان تردّ المُلك لإسرائيل؟» (أع ١: ٦) فإنّه أشار إلى أنّ موته كان مؤكّدًا. إنّهم لا يُريدون مَلِكًا لا يملك.

وطيلة القُرون والانسان لا يتوقّف عن محاولة إقامة ملكوت الله على الأرض. وطيلة التاريخ وهو يحاول إنشاء المدن الفاضلة المثاليّة. حاوَلَ الانسان أن يعمل هذا من خلال العلوم، والشيوعيّة، والإصلاحات الاجتماعية، ودُوَل تتمتّع بالرفاهيّة، وقوانين أفضَل، وإسكان أفضَل .. إلخ، ولكن الإنسان كان يُواكبه الفَشَل باستمرار. إنّه فَشَل لأنّه تجاهَلَ حقيقة خطيئة الإنسان.

فَشِلَ الإنسان لأنّه تركَ الله جانبًا، إنّ ملكوت الله لا يُمكن أن يُقام بدون الله. قال مُصلح اجتماعي: «حاولنا بكل الجهد في كل شيء ولم يحدث شيء» ، فأجابه مسيحي حقيقي: «إنكم جرّبتم كل شيء إلّا المسيح، ولا يُمكن لأي شيء أن يجري حسنًا بدون المسيح. إنّنا جرّبنا المسيح فعَمل بنا، بقوانين المسيح وبقوّته يأتي ملكوته».

«ليأتِ ملوكتك

لتكُنْ مشيئتك كما في السماء كذلك على الأرض».

في هذا المثال وفي هذه الحالة، فإنّ الالتماس الثاني يُحَدِّد ويُعرِّف الأوّل. ويعطينا التعريف الكامل التّام لملكوت الله أنّه: «مجتمَع على الأرض تتمّ فيه مشيئة الله تمامًا كما هو حادث في السماء». إن أطاع إنسان على الأرض مشيئة الله تمامًا كما تفعل الملائكة في السماء، يُمكن آنئذٍ أن يكون ملكوت الله حقيقة هنا (على الأرض) والآن (في هذا الزمان).

أين يوجد الملكوت؟

أين يوجَد شخص مُعَمَّد باسم الثالوث القدُّوس، ونال الروح القُدس من خلال سرّ الميرون (التثبيت)، فهناك تكون قد بُذرت بذرة الملكوت. أينما يوجد مسيحي مُعَمَّد وممسوح بالميرون ويكون عضوًا حيًّا ومُصَلّيًا في الكنيسة، ومشارِكًا بإخلاص في القدّاس الإلهي وينال الأسرار متواترًا، هناك يكون ملكوت الله.أينما يُقتَفى مثال يسوع، وأينما تُقبَل تعاليمه، وأينما تُصنَع مشيئة الله، هناك يكون ملكوت الله. أينما تُقام الذبيحة الإلهيّة ويوجَد المسيح كَكلمة وخبز الحياة، هناك يوجَد الملكوت. إنّ ملكوت الله يبدأ في قلب الإنسان ثمّ يمتد الى منزله ثمّ إلى الجماعة ويستمر ينمو إلى أن يأتي يومٌ، عندما يعود يسوع، تصير مملكة العالَم ملكوت الله. إنّ الملكوت ينتشر مثل خميرة أو ينمو مثل حبّة خَردَل.

إنّ المسيح لم يأتِ ليملك على عرش أرضي لأنه قال:«مملكتي ليست من هذا العالم»، وإنّما جاء ليملك على قلوب وعلى عقول الناس. وعندما يَفعَل هذا، فإنّ ملكوته يكون قد أتى إلينا. إنّ الملكوت قائم داخلنا، والسماء تبدأ هنا والآن، عندما نعيش ونطيع أوامر الله ونصنَع مشيئته.

ومن كلام الحكماء

إِنَّ مُرتَكِبَ ٱلصَّغِيرَةِ وَمُرْتَكِبَ ٱلكَبِيرَةِ سِيَّانِ. فَقِيلَ: وَكَيْفَ ذٰلِكَ. فَقَالَ: ٱلْجَرأَةُ وَاحِدَةٌ. وَمَا عَفَّ عَنِ ٱلدُّرَّةِ. مَنْ يَسْرِقُ ٱلذَّرَّةَ .

العظة الرابعةَ عشرةَ

«... وقام من بين الأموات في اليوم الثالث، وصعد إلى السماء، وجلس عن يمين الآب» – تتمة

١٣– فرح النسوة القديسات يتّفق والمزمور الثاني

وبعد رؤية الملائكة، جاء يسوع رسولًا من نفسه. ويقول الإنجيل: «وإذ يسوع يلاقيهنّ ويقول لهنّ: «السلام لكنّ. فدَنَوْنَ وأخذنَ بقدميه» (متى ٢٨: ٩). أمسكنَ به ليتمّ ما كُتِبَ: «أمسكته ولست أُطلقه» (نشيد ٣: ٤). إن كانت المرأة ضعيفة الجسد، فإن روحها متيقظة: «المياه الغزيرة لا تستطيع أن تطفيء المحبة، والأنهار لا تغمرها» (نشيد ٨: ٧). كان مائتًا ذاك الذي يُبحَث عنه، ولكن رجاء القيامة لم ينطفيء. فأجاب الملاك وقال لهنّ: «لا تَخَفْنَ أنتنّ» (متى ٢٨: ٥). إنّي لا أقول للجنود: لا تخافوا، ولكن لكنّ أنتنّ. فليظلّ هؤلاء في الخوف ليتعلّموا بالخبرة أن يشهدوا قائلين: «في الحقيقة كان هذا ابن الله» (متى ٢٧: ٥٤). أما أنتنّ فيجب ألَّا تخفن «لأنّ المحبة الكاملة تطرد الخوف خارجًا» (١يو٤: ١٨). «أسرعن وقلنَ لتلاميذه: إنه قام ...» (متى ٨: ٧). «فغادرن القبر في سرعة يتنازعهنّ خوف وفرح عظيم» (متى ٢٨: ٧). هل هذا مكتوب؟ – يقول المزمور الثاني الذي يتكلّم عن آلام المسيح: «أُعبدوا الله خائفين، وابتهجوا وَجِلين» (٢: ١١). إبتهجوا بسبب المسيح الذي قام، خائفين، بسبب الزلزال والملاك الذي ظهر كالبرق (متى ٢٨: ٢-٣).

١٤– أشعيا وهوشع يعلّقان مقدّمًا على مناورات اليهود

وبعد أن رؤساء الكهنة والفريسيين ختموا القبر بإذن بيلاطس، إلَّا أن النسوة رأين هذا الذي قام. وإذ رأى أشعيا تصرّف رؤساء الكهنة المُزْرِي، وقوّة إيمان النساء، قال: «أيتها النساء الآتيات من المشهد اقترِبن،لأنهم شعب لا فهمَ له» (أشعيا ٢٧: ١٢). وقد سبقَ لأشعيا أن تنبأ عنهم بهذه الكلمة: «قولوا لنا وأعلنوا ضلالًا آخر» (أشعيا ٣٠: ١١). الذي قام من الأموات خرج من القبر. ولكنهم بالنقود أقنعوهم بالعكس؛ على أنّهم لم يقنعوا ملوك عصرنا. لقد خان الجنود الحقّ بالفضّة، ولكنّ ملوكنا المعاصرين قد كَسَوْا هذه الكنيسة التي نحن مجتمعون فيها الآن، كنيسة قيامة الربّ مخلصنا المقدسة، بالفضة والذهب، وزيّنوها بالتُّحَفِ الفضيّة والذهبيّة، وبالأحجار الكريمة. «وإذا نمى ذلك الى الوالي فنحن نرضيه» (متى ٢٨: ١٤). وإذ أنتم أقنعتموه، فلن تقنعوا الأرض كلها. ولماذا عندما خرج بطرس من السجن (أعمال ١٢: ١٩) عوقِبَ الحرَّاس؟ في حين أن الذين كانوا يحرسون يسوع المسيح لم ينالوا عقابًا ! هؤلاء إذ رأوا الحقيقة وأخفوها لقاء حفنة من الفضة، أنقذهم رؤساء الكهنة. وإن يكن عدد الذين اقتنعوا من اليهود قليلًا، إلَّا أن العالم بأسره قَبِلَ الحقيقة. والذين أخفوها طواهم النسيان. أما الذين قَبِلوهَا، فقد أظهروا قوّة المخلِّص، الذي ليس فقط قام من بين الأموات، بل قام مع الأموات الذين قال النبي هوشع في صددهم بوضوح: «يُحْيِنا بعد يومين وفي اليوم الثالث يُقيمنا فنحيا بقربه» (هوشع ٦: ٣).

١٥– الردّ على اليهود الذين يرفضون العهد الجديد

بما أن اليهود الصمّ لا يطيعون الكُتب الإلهيّة ويكذّبون قيامة يسوع، ناسين كل ما هو مكتوب، فيحسن بنا أن نواجههم بهذا: لماذا تعترفون بأن أليشع (٤ ملوك ٤: ٢٠-٣٧) وإيليا (٣ملوك ١٧: ١٧-٢٤) أقاما موتَى، وتُعارضون في قيامة مخلّصنا؟ صحيح أنه ليس لدينا اليوم حيّ ولا واحد من شهود ذلك العهد، ولكن أظهروا لنا شهودكم من ذلك العهد. إن كان ما تقبلونه مكتوب، فإن ما نقبله مكتوب أيضًا. فلماذا تقبلون شهادة دون الأخرى؟ لقد كان أولئك الذين كتبوا هذه الأمور عبرانيين، وجميع الرُسل كانوا عبرانيين، فلماذا لا تصدّقون عبرانيين؟ متّى كَتَبَ الإنجيل بالعبرية، وبولس المُبَشِّر كان عبرانيًّا ابن عبراني (فيلبي ٣: ٥)، والرسل الإثنا عشر كانوا عبرانيين، وأساقفة أورشليم الخمسة عشر الذين تعاقبوا كانوا عبرانيين. فلماذا إذن تقبلون كتبكم وترفضون كُتبنا التي كتبها عبرانيون مثلكم ؟

إِذَا صَحِبْتَ ٱلْمُلُوكَ فَٱلْبَسْ
مِنَ ٱلتَّوَقِّي أَعَزَّ مَلْبَسْ
وَٱدْخُلْ إِذَا مَا دَخَلْتَ أَعْمَى
وَٱخْرُجْ إِذَا مَا خَرَجْتَ أَخْرَسْ

قَالَ بَعْضُهُمْ:
عَشِيرَتُكَ مَنْ أَحْسَنَ عِشْرَتَكَ. وَعَمُّكَ مَنْ عَمَّكَ خَيْرُهُ. وَقَرِيبُكَ مَنْ قَرُبَ مِنْكَ نَفْعُهُ.